17 e Année No. 849 — Lundi — 10 — 10 — 1949

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٨٤٩ « القاهرة في يوم الاثنين ١٨ ذو الحجة سنة ١٣٦٨ — ١٠ أكتوبر سنة ١٩٤٩ » السنة السابعة عشرة

صور من الحياة :

حكمة القـــدر !

للأستاذ كامل محمود حبيب

يا لحكمة القدر ! أفتؤمن يا من تسخر من قوانين الحياة وأنت في عنفوان الصبا ، وتهزأ بتقاليد الأسرة وأنت في فورة الشباب ، وتعبث بقواعد الأخلاق السامية وأنت في ريعان العمر ... أفتؤمن يا من تفعل كل ذلك غروراً منك وجهلاً بأن الحياة تمهلك حيناً لتنقضّ عليك كالصاعقة الهوجاء فتستلبك من شبابك وقوتك وتذرك وحيداً في ركن من الدار تأكلك الحسرة على أن انطوت سنوات عمرك المشرق مجافاً لم تلذ السعادة في الدار ولا اللذة في الولد ، ولا الراحة في الزوجة ؟

لقد ضننت بقلبك ومالك يوم أن كنت في الشباب النضير ، والقوة العارمة ، فصفرت حياتك — وأنت تحبو نحو الشيخوخة الباردة — من قلب ينبض بحبك ، أو فؤاد يخفق بالعطف عليك !

* * *

نشأ الفتى في كنف أبيه وهو يدلّله ، ونما واشتد غرسه في رعاية أمه وهي تحنو عليه ، وعاش بينهما سعيداً ، رضيّ البال ، مطمئن الخاطر ، يبذل جهد الطاقة في الدرس ، ويستنفد وسع النشاط في المدرسة ، لا تشغله نوازع الحياة ، ولا تفزعه مسارب الرزق ، وأبوه رجل فيه العطف والحنان ، وفيه الثراء والعقل ...

وأحس الفتى بالعاطفة المشبوبة تتدفق من قلب أبويه فتغمر حياته بالنشوة والسعادة ، فأحب أمه وعلق بأبيه على حين قد حمل لأخيه الأكبر لوماً وعتاباً لأنه طاوع شيطانيته الطائشة ، فنبذ المدرسة ولمّا ينل من العلم إلا قطرات لا تغني من جهل ولا تدفع من سفه ... نبذ المدرسة ليكون موظفاً صغيراً ينعم بالوظيفة الوضيعة ، ويستمتع بالراتب الضئيل ، ثم دفعه شبابه — بعد أن خلص من المدرسة — إلى أن يحدث أبوه حديث قلبه ، فما تلبث الأب ، ولا تموّقت الأم ، فإذا هو ينتظر الزوجة لتزف إليه ... والزوجة فتاة من بنات الجيل الفائت ، فيها أثر النعمة ، وعليها سمة الجمال ... ورأى الفتى الفتاة وهي تزف إلى أخيه الأكبر ... فاختلج قلبه ، وأخذته روعة المنظر ، وخلبته أنوار الزواج ، فتمنى أن تنطوي السنوات في سرعة ليصبح هو الآخر زوجاً ورب أسرة . وأحس الأب بما يختلج في نفس ابنه الأصغر ، فجلس إليه يحدثه بقلب الأب : « متى ... متى يا بني

أسعد بزواجك أنت ؟ » فقال الفتى : « إن الزواج يا أبت يحول بين المرء وبين الدرس ، فما يستطيع العقل أن يفرغ للدرس والقلب مشغول بالزوجة ، وأنا أطمع أن أكون مهندساً كبيراً » قال الأب : « إن الأيام — يا بنى — تمر فى غير تمهل ، وغداً تنال الشهادة العالية . حينذاك أستطيع أن أحبوك بما لم أبذله فى سبيل أخيك » ...

واطمأنت نفس الفتى ، ودفعته عزيمته إلى أن ينكب على الدرس فى غير هوادة ولا لين ليخلص من الدرس إلى الزوجة ، وتأججت الفكرة فى خاطره ، فانطلق على سننه ليبلغ الغاية ... فبلغ ... ولكنه لم يصل إلى نهاية الشوط ... إلى دبلوم الهندسة الملكية ... إلا ليرى أباه يلفظ النفس الأخير !

لم يلمس الفتى فرحة النجاح ، ولا نشوة الوظيفة ، وإن قلبه لينتفض من أثر الأسى والضيق لموت أبيه ، وإن أمه إلى جانبه تحس فراغ القلب ، وفراغ الدار ، لأنها فقدت الزوج والبائل !

أما أخوه الأكبر ، فجاء يطلب نصيبه من ميراث أبيه ولما تجف العبرات فى محجرى أمه ... جاء يطلب نصيبه ويلح فى الطلب ليستعين به — كزعمه — على حاجات العيش وطلبات الدار ... !

وحاول الفتى أن يملأ فراغ الدار ، فلصق بأمه يعينها على أمرها ويهيئ لها رغباتها عسى أن يزيح عن قلبها بعض همه . وعز عليه أن يصر أخوه الأكبر على أن ينزع بعض تركة أبيه من بين يدى أمه ، فاحتقر الزواج احتقاراً انجابت له أخيلته القديمة ، وهى كانت لذيذة جذابة ... انجابت حين أحس أن الزواج وحده هو الذى قذف بأخيه إلى أن ينكأ جراح قلب أمه كلما أوشكت أن تندمل !

وأرادت الأم — بعد سنة — أن ترى ابنها الأصغر زوجاً ورب أسرة ، فتحس فيه فرحة قلب صفعه الخوف ، ولكن الألم كان ما يبرح يضرب الفتى ضربات قاسية كلما تراءى له الأخ الأكبر وهو ينزع بعض ميراث أبيه من بين يدى أمه ، ثم يهجرها لا يعبأ بنزعات قلبها ، ولا يرحم ضعفها . وخشى أن ترغمه الزوجة — يوماً — على أن يفعل ما فعله أخوه فيذر أمه وحيدة تحس فقد الزوج والابن فى وقت معاً !

وعاش الفتى ابن أمه الطيع ، وخادمها الأمين ، والأيام تمر سراعاً ، حتى عصف بها الحزن ، وقصمتها السنون فماتت ...

ماتت وخلفت له — فيما خلفت — خادماً تقوم على راحته ، وترعى شأنه !

وأحس الفتى بفراغ داره ، وفراغ قلبه ، وفراغ حياته ، وهو يدلف رويداً رويداً إلى الكهولة الفارغة ، وإن الشعرات البيض لتأخذ طريقها إلى فوديه فى غير ريث ولا مهل ، وإن الضعف لينسرب إلى أوصاله فى غير وناء ولا بطء ... فانطوى على نفسه وفيه الخجل والحياء ، وسكن إلى عمله يجد فيه السلوة والهدوء ، والخادم إلى جانبه تدرج إلى الشباب والنضوج ، وهى فتاة من بنات الريف جاءت من القرية لتخدم سيدتها ، ولتتعلم هنا — فى القاهرة — أموراً لا يرقى إليها عقل ابنة القرية ... أموراً فيها اللهو والعبث ، وفيها الشره إلى المال ، والكلب على الزينة ، وفيها المكر والخداع !

وتيقظت الأنثى فى قلب الفتاة ، فانطلقت تتودد إلى سيدها فى لطف ، وتتقرب منه فى رقة ، والدار خواء إلا منهما معاً ...

واستشعر هو الدفء يشع من شبابها ومن أنوثتها ، فهبت فى نفسه دواعى الرجولة المكفوفة منذ زمان ، فما ترفع عن أن يمد يده ولسانه على حين أنه يكبرها بسنوات وسنوات ...

وابتسمت الفتاة لسيدها فى لين ، ولصقت به فى تكسر ، وعقلها يحدثها بأنها توشك أن تحتله عن رجولته وماله ، وأن تسيطر على الدار التى عاشت فيها — زماناً — خادماً لا تظفر إلا بالتافه ، ولا تنال إلا الحقير .. وراحت الفتاة تمكر بسيدها وتخدعه من نفسه حتى أسهل وانقاد ، وظلت إلى جانبه سنوات تسيطر على خواطره الحائرة وهو يستخذى ، وتملك نوازعه الفاترة وهو يتصاغر ، فتمادت فى غوايتها تذيقه ألواناً من الحرمان ، وفنوناً من الضيق لتدخر ماله لنفسها وتمتقده لحاجتها !

يا عجباً ! لقد أصبح الرجل مهندساً كبيراً فى وزارة الأشغال ،

له من منصبه الجاه والثراء ، وله فى عملة العزة والسلطان ، ولكنه يحس الضياع ويستشعر الضيق لأنه يعيش فى داره غريباً وهى خواء إلا من خادم لعوب تسيطر عليه فتسلبه المتعة فى ماله وتحرمه السعادة فى قلبه .

لقد طوت السنون كل آماله ، فمات الحنان فى قلب أبويه ، وطارعنه العطف فى قلب أخيه الأكبر ، وذوت أمانية جميعاً فغدا محروماً من أحبائه : الزوجة والولد والدار ، لا يجد السبيل إليهم وإن جهد .

وأرادت الأيام أن تسخر من المهندس الكبير مرة أخرى فسولت للخادم اللعوب أن تلصق به — ذات مرة — وتحدثه حديث أملها هى ، وتوحى إليه بأمر ، قالت . « وأنا أخشى أن تتناولك الألسن ، فتصبح مضغة فى الأفواه فتنهار كرامتك ، وينحط قدرك ، فدعنى أبحث عن عمل آخر » وأحس المهندس الكبير بالصدمة تكاد تذهله فهو لا يطيق أن يعيش وحده بعد أن حطمته السنون ، فقال « وأنا ؟ ... أفأعيش هنا وحيداً ؟ » قالت « فإن استشعرت الألم لفراق فدعنى أتزوج من فلان ، وهو خادم فى المنزل المجاور ، فأكون له زوجة بالليل وأكون لك خادماً بالنهار ! » وتهلل وجه الرجل للخاطر ، واطمأن قلبه .

وهم الرجل يهيىء لزواج الخادمين وينفق من ماله عن سعة ويبذل فى سخاء ، ثم زفت الزوجة — ذات ليلة — إلى زوجها ...

وفى الصباح بكَّر المهندس إلى دار الزوجين ، وبين يديه هدية ثمينة يطمع أن يخطف بها قلب الزوجة وأن يسترضى الزوج . ولكن لشد ما أصابه الذهول حين رأى الدار خاوية إلا من أشياء تافهة متناثرة هنا وهنالك . لقد طارت الزوجة بين ذراعى زوجها إلى حيث لا يعلم بعد أن سلبته ماله وقوته .

وارتد الرجل إلى داره يجرر أذيال الخيبة والحسرة . ارتد ليرى داره خالية إلا منه وهو يتهالك ضعفاً وفتوراً تأكله الوحدة وتلتهمه الوحشة .

فيا لحكمة القدر ... يا لحكمة القدر ! .

كامل محمود حبيب

صحائف مطوية فى السياسة العربية :

هاشم الأتاسى

فى سنة ١٩٣٩ وفى عام ١٩٤٣

للأستاذ أحمد رمزى بك

إن الانقلاب الذى قام به المندوب السامى الفرنسى المسيو جبريل بيو عند تعيينه مندوباً سامياً لفرنسا فى أوائل سنة ١٩٣٩ كان يرمى إلى إيقاف العمل بالمعاهدتين اللتين عقدتهما بلاده والعودة إلى النظام السابق .

وترتب على هذا إبطال الدستور فى سوريا ولبنان والعودة إلى تأكيد الاستقلال الذاتى أو الادارى الذى كان يتمتع به كل من جبل الدروز وإقليم العلويين .

وبنت فرنسا الأسباب المبررة لاتخاذ هذه الخطوة على تطرق الفساد إلى الأنظمة البرلمانية القائمة وتدهور الحكم الوطنى فى كل من البلدين وما سببه من انتشار الرشوة والتغاضى عن تنفيذ العدالة ، والأسراف فى إنفاق الأموال العامة وإضاعتها على الأقارب والمحاسيب ، ثم فيما أصاب الأقليات من ظلم واضطهاد جعل رجالها يستصرخون بممثلى فرنسا ويطلبون إغاثتهم مما هم فيه . وكانت هذه الحملات المغرضة موجهة بالذات إلى سوريا وإن كان أصاب لبنان رذاذ منها بحكم اشتراكه مع جارته فى إمضاء معاهدة تشبه أو تقارب المعاهدة التى أمضتها فرنسا مع سوريا . ولقد قام الحكم الوطنى فى سوريا على أساس دستورى سليم وخيل إلى القائمين بالأمر أنه يكفى إمضاء المعاهدة ثم التصديق عليها لكف اليد الفرنسية عن التدخل فى أمرهم والسيطرة على الشئون الداخلية التى أصبحت من اختصاص الحكومة السورية وحدها ولا شأن لفرنسا فيها بعد أن سلمت السلطات إلى الرجال الذين جاءوا إلى الحكم بمقتضى قواعد الدستور الذى وضعته فرنسا أو وافقت عليه

ولم يتبادر إلى ذهن الوطنيين خطر الرجوع فى هذه الاتفاقات بعد إمضائها إذ كانوا على يقين من أن أغلبية الشعب السورى تؤازرهم وإن البلاد تؤيد بإجماع الاستقلال التام وتأكيد الحياة الدستورية .

وكان جيش الدولة المنتدبة يحتل البلاد وتخضع قوات الأمن العام وغيرها من القوات المسلحة لضباط من الفرنسيين ، وكان أعظم ما تظهر قوة العسكريين فى الأماكن المتطرفة على الحدود أو فى المقاطعات التى تتمتع بادارة ذاتية ، وكان ضباط الارتباط الفرنسيون يمثلون قوة الدولة المنتدبة الحاكمة . ولما كان أغلبهم تأتى به فرنسا من المناطق الخاصة للحكم العرفى من مستعمراتها فى شمال أفريقيا فقد جاءوا ومعهم عقلية وأساليب فرنسا فى مستعمراتها ، فتمادى بعضهم فى الاستهانة بممثلى الحكم الوطنى وظن أن من اختصاصه إقامة العدالة — كما يفهمها — وإيقاف تنفيذ الأحكام وإعفاء المحظوظين من دفع الضرائب .

وهكذا برهنت الحوادث على تعذر قيام السلطتين معاً وأن هذه الحالة لا بد أن تؤول إلى تغلب السلطة الأجنبية المنتدبة التى يدعمها جيش الاحتلال . فهل تمجلت الحكومة الوطنية فى تعيين ممثليها فى أماكن بعيدة اعتادت تجاهل وجود حكومة دمشق منذ قيام الانتداب ؟ وهل أحسنت صنعاً فى تسلم السلطات المباشرة فى المقاطعات التى كانت تتمتع باستقلالها ؟ هذه أسئلة من الصعب الإجابة عنها ، ولكن الذى ظهر من أثر هذه السياسة أن رجال الحكومة المركزية تعرضوا للاهانات فى بعض الجهات خصوصاً بعد حادث اختطاف محافظ الجزيرة الوطنى فى داخل حدود المقاطعة التى جاء ليحكمها وصب على الحكومة الوطنية حمايتهم

وهكذا ضج السوريون جميعاً من تدخل سلطات الانتداب ومن سكوتها على هذه الأعمال ومن تشجيع بعض ممثليها واشتراكهم فى تدبيرها ، وألقيت فى البرلمان خطب حماسية شديدة اللهجة ولكن صداها لم يتعد الأماكن التى ألقيت فيها ، وكتبت مقالات قوية الحجة ولكن أثرها لم يتعد أعمدة الجرائد التى نشرتها

فى وسط هذه الظروف القائمة والمهجات المتتالية وجد رئيس الجمهورية هاشم بك الأتاسى بين قوتين لا قبل له بأن يوفق بينهما . ولما كانت آمال الشعب السورى وحرياته أمانة فى عنقه وكان يعتقد أن التساهل مع الفرنسيين ولو مرة واحدة سيؤدى إلى سلسلة لا نهاية لها من التفريط فى حقوق الوطن ، فضل الاحتفاظ

بكرامة البلاد واستقلالها كاملين وبادر بتقديم استقالته إلى مجلس النواب الممثل للامة السورية . وسجل فى هذه الاستقالة احتجاجه على فرنسا التى بعد أن قبلت التعاون مع سوريا عادت إلى أساليبها القديمة ورجعت تطبق تجارب جديدة تناقض الاتفاقات التى وقعها ممثلوها وتعهدوا بتنفيذها . وهكذا جاء عمله هذا دليلا على وطنيته وإخلاصه وشجاعته ، ويندران نجد الكثير من أمثال هاشم بك الأتاسى فى تاريخ الأمم الشرقية فى القرن العشرين .

ثم قامت الحرب العالمية الثانية وجاء الجنرال فيجان وغيره من قواد فرنسا ، وسادت البلاد فترة هدوء وتعرضت سوريا ولبنان كما تعرض غيرهما لما مرّ ببقية بلدان الشرق الأوسط من متاعب حتى عقدت الهدنة فازدادت هذه المتاعب الاقتصادية والتموينية ، ثم اشتبكت قوات الحلفاء مع قوات فيشى وانتهى الأمر بدخول الحلفاء وخروج فرنسا المهزومة ودخول ممثـــل فرنسا الحرة أو المقاتلة .

وقد قضى هاشم الأتاسى هذه المدة بأكلها معتكفاً بمدينة حمص لا يقوم بأى نشاط سياسى ولا يزوره أحـد . وأذكر أننى مررتُ مراراً بهذه المدينـة ولم أنس أن أترك له بطاقتى فى كل مرة ، إذ لم يكن فى هذا العمل ما يمكن المؤاخذة عليه ؟ ولكن موظفى إدارة الأمن العام الفرنسية ومن بينهم بالذات من أصبح موضع ثقة الحكم الوطنى بعد ذلك ، لم يتركوا هذه الفرصة تفلت من أيديهم دون أن يبنـوا عليها من خيالهم الكثير من الظنون التى ضمنوها تقاريرهم السرية ، وهى التى طالما ضلّلت السلطات وأفقدتها الكثير من هيبتها فى كثير من بلاد الشرق الأوسط .

لابد أن القارىء يعرف ما حدث بعد دخول الحلفاء سوريا ولبنان ، وكيف أعلن استقلال البلاد السورية ، وكيف نودى بالشيخ تاج الدين الحسنى رئيساً للجمهورية ، ثم اعتراف مصر بهذا الاستقلال ، ثم ما أعقب ذلك الاعتراف من اتصالات ومفاوضات كانت ترمى إلى دعم هذا الاستقلال وجعله متمشياً مع الأغراض العالمية الكبرى التى رسمها ميثاق الأطلنطى ونادى بها كل من روزفلت وتشرشل لكسب الحرب . ولو أن الكثير من مذكرات رجال السياسة والحكم قد نشر بمختلف اللغات وأصبح متداولا بين أيدى الجمهور وفيه إشارات معينة إلى ما تم فى هذه الحقبة الدقيقة من حياة الأمم العربية والشرقية ، إلا أن موقف مصر الحاسم وأثرها الفعال وما قامت به من أعمال وما كان لوجهة نظرها وسياستها من احترام فى المحافل الدولية ، لا تزال حلقة مجهولة غير معروفة للناس ولا للمصريين خاصة . وليس فى نيتى أن أسردها فى هذه المجالة ، وإنما أكتفى بأن أقول إننى وجدت نفسى مجنداً فى هذه الناحية وعرضة لأحاديث ومفاوضات مع أصحاب الشأن من السوريين واللبنانيين ومع ممثلى فرنسا وبريطانيا وأمريكا ثم مع السلطات القائمة حينئذ فى سوريا وفى مقدمتهم المغفور له الشيخ تاج الدين الحسنى وغيره من الوزراء وأهل الرأى .

فى تلك الأثنـاء دارت مقابلات بمصر حضرها الجنرال كاترو وزعماء من السوريين واللبنانيين وعند نهايتها عدت إلى بيروت وكان من المفروض أن تبقى المباحثات تحت طى الكتمان ؛ ولكنى فوجئت فى يوم من الأيام بزيارة نجل هاشم بك الأتاسى الذى نقل إلى رغبة والده فى مقابلتى مفضلاً أن يتم ذلك فى فندق معين بمدينة بعلبك . وقد قمت بهذه الزيارة فعلاً فى اليوم الذى حدده الرئيس هاشم بك الأتاسى فجاءت كأنها مقابلة عرضية فى أحد صالونات الفنـدق المذكور . وفى أثنائها تحادثنا عما تم فى القاهرة من اتفاق على النقط الأساسية التى تمهد الفرنسيون الأحرار بإتمامها والتى ستكلل بعودة هاشم بك الأتاسى رئيساً للجمهورية السورية ليتولى إجراء الانتخابات الجديدة . وقد أبدى هاشم بك الأتاسى لى ارتياحه لهذه الفكرة ولم يعترض عليها وقتئذ .

وبعد يومين تلقيت دعوة من وزير العراق المفوض تحسين بك قدرى للغداء بفندق صوفر ، وهناك وجدت دولة رياض بك الصلح الذى كان مدعواً معى فأخذ دولته أثنـاء الطعام يتحدث بلباقته المعروفة وذكائه الفائق عن اهتمام الرأى العام الوطنى بالمفاوضات التى تولتها مصر وما يُرجى لها من خير وعند نهاية تناول الطعام أبلغنى أن الكتلة الوطنية بالشام ترتب الآن شئونها وتجمع شملها كحزب منظم ، وأنها قررت الا ترتبط بشىء لا يأتى عن طريق رئيسها فخامة هاشم الأتاسى وطلب إلىّ وإلى وزير العراق المفوض أن يبلغ كل منا حكومته هذا الإجراء الذى يتفق مع مصلحة البلاد القومية والاستقلالية .

ولا أدرى لماذا مرّ بخاطرى فى تلك اللحظة الكثير من الحوادث التى قرأت عنها طويلاً ، إذ عدت بخيالى إلى أعوام ١٩١٠ حينما كانت البلاد العربية جزءاً من الامبراطورية العثمانية فى الأعوام التى قام خديو مصر برحلته إلى الأقطار الحجازية وما أحيطت به رحلته فى مختلف البلاد الأوربية من تأويلات ثم مجىء كتشنر إلى القاهرة ووضعه حداً لسياسة الوفاق التى رسمها غورست وما تبع ذلك من مقابلات تمت فى دار العميد البريطانى مع بعض زعماء العرب سنة ١٩١٣ ، ثم برز أمامى النزاع القائم بين وزارة الخارجية البريطانية وحكومة الهند البريطانية فى قيادة السياسة العربية وما تمخضت عنه سنة ١٩١٦ من قيام الملك حسين بن على وحروب لورنس المعروفة والمناداة بفيصل الأول ملكاً فى دمشق ؛ ثم تمثلت اتفاقات سيكس — بيكو والتفاهم الذى تم على حصص البترول العراق ومجىء وعد بلفور وإنشاء الوطن القومى الصهيونى ومفاوضات الوسطاء[1] بين فيصل الأول والدكتور وايزمان العميد الصهيونى ، واستجمعت ذكرى الليالى الطويلة التى أمضيتها فى فندق الملك داود بمدينة القدس استمع فيها إلى أحاديث رجال من البريطانيين واليهود وأنصت إلى أنصار الهاشميين وأنصار الحاج أمين الحسينى . لقد أمضيت سنتين بفلسطين تمر أمام ناظرى الحوادث والمقابلات بين مختلف الرجال الذين يضعون الخطط ويجتمعون ثم ينفضون إذ كانت توضع أسس دولة إسرائيل ... على احتمالات الأخطاء التى سوف يرتكبها رجال السياسة من العرب — لقد مر كل هذا أمامى عند تناولى الطعام — ولقد نزلت من صوفر إلى بيروت وأنا غير مرتاح لمقابلتى هذه إذ كنت أشعر بأننا على أبواب مفاجئات جديدة ... وفعلا تحقق هذا الشعور الذى قلما أخطىء فيه ؛ إذ أطل علينا شهر مارس سنة ١٩٤٣ وهو الشهر المملوء بالحوادث التى جاءت متتابعة متلاحقة ، فبدأ الجنرال كاترو يجد فى تنفيذ ما اتفق عليه بالقاهرة فكثرت تنقلاته بين بيروت وحلب وحمص ، وكان يؤكد فى أحاديثه أنه ينفذ قرارات حكومة فرنسا المقاتلة الممثلة فى اللجنة الفرنسية بالجزائر ، وأن التعليمات التى لديه من شرائطها قيام معاهدة بين فرنسا ودولتى سوريا ولبنان . وكان يبدو لى من حديثى من أغلب الزعماء الذين قابلتهم أنهم يرحبون بعودة معاهدة سنة ١٩٣٦ بل قال بعضهم إن هذه المعاهدة أوسع نطاقاً من المعاهدتين اللتين عقدتهما بريطانيا مع مصر والعراق ، وأنه لو كانت بريطانيا فى مكان فرنسا لاستفادت سوريا كثيراً من تطبيق هذه المعاهدة . كنت أقابل هذه التصريحات بالصمت المؤذن بأن صاحبه لا يهتم بهذه الناحية ... ولا يود الخوض فى موضوعها بالذات .

وما دامت مفاوضات القاهرة لم تتعرض لموضوع المعاهدة لم يكن من المصلحة إثارة شىء عن ذلك ، ما بقى اسم مصر بعيداً عن هذه الدعاية القائمة . والحقيقة أن الفرنسيين أثاروا الموضوع حينما وجدوا شبه إجماع على العودة إلى إحياء المعاهدة السورية الفرنسية ، ولم يبدأ الزعماء فى التحرر من أقوالهم إلا عند ما ظهرت فى الأفق اتجاهات سياسية معينة ؛ ولكن الذى أعلمه تماماً أن هاشم بك الأتاسى كان أول من هاجم المعاهدة أمام الجنرال كاترو . وقد أبلغنى الجنرال أن هاشم بك لم يستطع شرح وجهة نظره وتقديم أدلة كافية على اقتناعه شخصياً بهذه الفكرة ... ونظر إلى مبتسماً .

وقد كنت على حق فى أن موضوع المعاهدة سوف يتخذ دعاية ضد مصر ، وأن المراجع المصرية لم تتعرض بتاتاً لمسألة عقد معاهدة جديدة بين سوريا وفرنسا أو إعادة المعاهدة السابقة . ولذلك دهشت حين سمعت شكرى بك القوتلى يصرح فى منزله « أن مفاوضات القاهرة لم تمد أساساً يصلح للسير عليه » فهل كان يقصد بذلك عودة هاشم الأتاسى للرئاسة أم موضوع المعاهدة ؟ لم يترك لى الحاضرون الوقت الكافى لقراءة ما يجول بخاطره ، فقد تدخل بسرعة سعد الله الجابرى ، فاعتذر شكرى بك بأنه لم يطلع الاطلاع الكافى على تفاصيل هذه المفاوضات وأسرارها .

ولما توجهت بنظرى نحو جميل مردم بك قال إنه سيتولى تفصيلها وشرحها لشكرى بك . أما أنا فانتهزت الفرصة وأكدت أمام الحاضرين أن موضوع المعاهدة لم يكن محل بحث فى القاهرة . ولست مكلفاً بالدخول فى أى شأن يخص العلاقات بين سوريا وفرنسا من هذه الناحية . وقد استشهدت بجميل بك فأقرنى على ذلك

ولما عدت إلى بيروت علمت من المصادر المختصة أن الانجليز المحليين لا يوافقهم إبرام أى معاهدة بين الفرنسيين وسوريا ولبنان ، وأن رأيهم فيما يخص معاهدة ١٩٣٦ هو أنها تؤيد سيطرة فرنسا

(١) هؤلاء الوسطاء أسماؤهم معروفة مشتهرة .

مسئولية الاحتلال الانجليزى لمصر

للأستاذ كمال السيد درويش

— ١ —

فى مثل هذا الشهر من عام سنة ١٨٨٢ تمّ الاحتلال الانجليزى لمصر . ذلك الاحتلال الذى لم تستغرق حوادثه — منذ ضرب الاسكندرية فى الحادى عشر من شهر يوليه الى استسلام عرابى بالقاهرة فى الرابع عشر من شهر سبتمبر — سوى شهرين اثنين . ولموقعة التل الكبير أهميتها الخاصة بعد تحصينات كفر الدوار فى حوادث ذلك الاحتلال مع أنها لم تدم سوى عشرين دقيقة فرّ بعدها عرابى إلى القاهرة ليستسلم فى اليوم التالى .

ولقد دعت السهولة التى تمّ بها الاحتلال الانجليزى لمصر إلى الاختلاف حول تحديد المسئولية فى ذلك الاحتلال . أتقع المسئولية على عاتق عُرابى أم على عاتق الدّولة العثمانيــة أم على الإنجليز وجشعهم الاستعمارى ؟

وهكذا تأرجحت آراء الكتاب حول هذا الموضوع بين هذا الرأى أو ذاك .

عرابى هو المسئول الأول والأخير . لقد اعتنق بعض الكتاب هذا الرأى وأيدوه بحجج قوية .

ألم يدفع بسلوكه الخديو إلى الارتماء فى أحضان الإنجليز ؟ ألم يهمل الدفاع عن حدود مصر الشرقية ؟ أما كان من الحكمة أن يلجأ إلى سدّ القناة فيؤخر الزحف الإنجليزى على الأقل إن لم يمنعه ؟ يقول له دلسبس فى تلغرافه : « إن الإنجليز يستحيل أن يدخلوا القناة ، يستحيل » فينخدع بهذا التلغراف وبالتلغراف الذى يليه : « لا تعمل عملاً ما لسد قناتى ، فانى هنا ولا تخش شيئاً من هذه الناحية ، إذ لا ينزل جندى إنجليزى واحد إلا ويصحبه جندى فرنسى ، وأنا المسئول عن كل ذلك » .

أى قائد هذا الذى يصدق مثل هذا التصريح الأجوف فيركن إليه فى تحصين بلاده ؟ ألم يقل فيه صديقه جون نينيه « إن بساطة

فى البلدين ، أما السفير الأميركى فاكتفى بأن قرأ على مجموعة من برقيات واشنجتون وكلها تشرح وجهة النظر الأميركية التى تتمسك بنصوص نظام ميثاق الأطلنطى وأنه يجبُّ كل ماعداه . ولا لزوم لعقد مثل هذه المعاهدات : ومن هنا فهمت سر التطور الجديد ضد فرنسا .

كثرت مقابلاتى فى شهر مارس سنة ١٩٤٣ مع الجنرال كاترو وتناولت أحاديثى معه عدة مسائل كان بعضها خاصاً بمركز القوات الفرنسية ومعسكراتها فى مصر . وفى إحدى هذه المقابلات أشار إلى المتاعب التى يلقاها لجمع شمل رجال السياسة السوريين وقال إنه دائم الاتصال بهم ويحاول جهده التغلب على المصاعب التى تبرز كل يوم أمامه . وكان مما ذكره أن عودة الدستور والحياة النيابية إلى سوريا ولبنان أمر مفروغ منه ، وهذا تنفيذ لما تم الاتفاق عليه بالقاهرة ، ذلك الاتفاق الذى اعتبره الجنرال خاصاً به ، ولذا فقد بذل الجهود حتى أقنع الجنرال ديجول ولجنة الفرنسيين الأحرار ، حتى وافقوا على تنفيذه ، وأن المشروع الذى أوحت به مصر يعد فى نظره الحل الوحيد المطابق لروح المبادىء الدستورية ، ولذا فهو الذى يسعى أن ينفذه فى كل من سوريا ولبنان على السواء . وعند اقتراب انصراف أسر إلى بأن مركز فرنسا وديعة فى يده ولذلك فإنه سيحتفظ بالمصالح المشتركة لحين التفاهم على معاهدة التحالف بين البلدين . ولم أعلق على هذا التصريح بشىء علماً منى بأن الظروف قد بدأت تسير فى اتجاه آخر مضاد لفكرته ، وإن أساليب السياسة البريطانية قد بدأت تؤتى أكلها فى كل من سوريا ولبنان وتوجه القادة إلى وجهة نظرها .

وفى ١٣ مارس سنة ١٩٤٣ علمت من عدة مصادر أن الجنرال كاترو لم يعد يتعرض بتاتاً لمعاهدة ١٩٣٦ فى أحاديثه مع الساسة السوريين ، وظهر أن هذا كان نتيجة إبداء البريطانيين امتعاضهم . ولكنى علمت بأن شكرى بك القوتلى مصرّ على رفض رئاسة الوزارة إذا عرضها عليه هاشم بك الأتاسى . ولما أشير إلى خالد بك العظم أجمع الساسة على أن صحته سوف لا تمكنه من مواجهة الحالة القادمة وما تتطلبه من كفاح ومجالدة أمام مجلس النواب . وهنا بدأت المفاجأة الثانية .

(يتبع) **أحمد رمزى**

عُرابي جملته يرتكب أغلاطاً كبيرة ظهرت عواقبها بعد ، فبمقدار ما بذل من الهمة في الدفاع عن الإسكندرية وتحصين خطوط الدفاع في كفر الدوار بحيث امتنعت على الإنجليز ، قد أظهر منذ ابتداء القتال غفلة بالغة إذا استمع إلى النصائح الكاذبة التي خدعه بها المسيو فرديناند دلسيبس حين زعم أن الإنجليز لايمكن أن يتعرضوا للعمل الفرنسي ، فامتنع عرابي عن سد القناة في الوقت المناسب واستمسك برأيه رغم ما كانت تحتمه الخطط الفنية الحربية ، ورغم ما ارتآه زملاؤه وما ارتأيته أنا وكررته عشر مرات تارة بالقول القارس وطوراً بالكتابة في وجوب سد القناة ؛ رغم كل ذلك أصر عرابي على رأيه فمهد للجنرال ولسلي نصراً من أسهل ما عرف في تاريخ المعارك »[(1)]. ويحذره جون نينيه قائلا: « إن قناة السويس هي خط الدفاع الوحيد الذي لكم في هذه الناحية ، وإذا لم تحتلوه فسيحتله العدو غداً ولن يجد صعوبة في احتلاله »[(2)] ومع ذلك كله يأبى عرابي إلا أن يصم أذنيه ويقف مكتوف اليدين حتى تساءل كاتب تاريخ الحركة القومية بقوله : « فليت شعري ما الذي جعله يعدل عن هذا الرأي الصواب ويمتنع عن سدها حتى احتلها الإنجليز ؟ »[(3)] وموقعة التل الكبير !! كيف يخوض تلك الموقعة الفاصلة وهو بعد لم يستكمل وسائل الدفاع ؟ لقد أقيمت خطوط الدفاع على عجل ، ولم تكن هي في ذاتها محكمة الوضع . يقول المستر بلنت في التاريخ السري للاحتلال : إن جيش عرابي بالتل الكبير لم يكن يزيد على عشرة آلاف أو اثني عشر ألف جندي ، والباقون كانوا من المجندين الأحداث الذين لم يسبق لهم إطلاق بندقية واحدة . أضف إلى ذلك أن خيرة الجنود لم يكونوا بالتل الكبير بل كانوا في كفر الدوار أو في دمياط ، وهؤلاء لم يشتركوا قط في المعركة ، وكان من حسن التدبير أن يستدعي عرابي على الأقل الآلاي المرابط في دمياط لأنه كان يحتوي على خيرة الجند المدربين ، ولكنه لم يفعل . بل لقد عهد عرابي بالقيادة إلى علي باشا الروبي لحضر قبل الواقعة

(١) الثورة العرابية والاحتلال الانجليزي . عبد الرحمن الرافعي ص ٤٣٢ نقلاً عن جون نينيه — عرابي باشا ص ١٠٥

(٢) عبد الرحمن الرافعي بك . الثورة العرابية ص ٤٣٣ : نقلاً عن جون نينيه عرابي باشا ص ١٠٥

(٣) عبد الرحمن الرافعي بك . الثورة العرابية ص ٤٣٣

بيوم واحد وهو وقت لا يكفي لتعرف مواقع القتال ووضع الخطط الصالحة .

وكيف لا يشتم رائحة الخيانة في صفوف أعوانه ؟! أترسم خطة الموقعة ليلا فلا تستقر في نفس الليلة إلا عند الأعداء ؟! ويتحرك الجيش الانجليزي إلى أن يصل إلى ميدان الموقعة مسافة تبلغ نحو خمسة عشر كيلومتراً دون أن تصادفه طلائع المصريين؟ أيوقع الإنجليز بالجند « على حين كان راقداً فدهشت العساكر وتولاها الانذهال حيث رأوا ضرب النار من خلفهم وأمامهم ، فألقوا أسلحتهم وفروا طالبين النجاة » على حد قول عرابي نفسه في روايته عن تلك المعركة .

وأخيراً كيف يرتضي عرابي لنفسه أن يرخي لفرسه العنان ثم يستسلم بعد فراره هذا الاستسلام الذليل ؟ لقد قال الرافعي بك في هذا الموقف الذي ختم به عرابي فصول الثورة : « ولكن عرابي آثر الحياة على الواجب المقدس ففقد روح البطولة والتضحية ، ولم يكن هذا عهده للأمة قبل نشوب الحرب ، فقد كان يقول إنه لا يخشى تهديد إنجلترا ولا أوربا ولا تركيا وإنه مصر على أن يدافع عن مصر حتى آخر رمق من حياته . فليت شعري لم لم يف بعهده فيكون دفاعه على الأقل صفحة بطولة في تاريخه وفي تاريخ مصر ، أما إذا كان معتزماً التسليم لمجرد الهزيمة فكان الأولى به أن لا يغامر بالبلاد في حرب أدت إلى الاحتلال والهوان ، فهزيمة التل الكبير لم تكن هزيمة عرابي وحده أو هزيمة لجيشه بل هي هزيمة لمصر بأسرها إذ كانت نتيجتها الاحتلال البريطاني »[(1)] بل لقد ذهب الكاتب إلى أبعد من ذلك في تفسير فرار عرابي فقال إنه لم يفر من الموقعة ليواصل الجهاد ولكن لكي ينجو بنفسه ؛ ولو كان مجاهداً حقاً لظل يجاهد حتى آخر نسمة من حياته .

أفلا يرى القارئ العزيز إلى أي حد يذهب بعض الكتاب في إلقاء مسئولية ذلك الاحتلال المشئوم على عاتق عرابي والعرابيين؟ إن الاتهام تلو الاتهام ينصب في غير رحمة أو هوادة على العرابيين وعلى رأس عرابي بالذات .

ولكن مهلاً أيها القارئ العزيز فسنستعرض بقية الآراء حتى نعثر على الحقيقة في ثنايا ذلك الاستعراض فتكون الحقيقة

(١) عبد الرحمن الرافعي بك . الثورة العرابية . ص ٤٥٦ ، ٤٥٧

والحقيقة وحدها سبيلنا إلى تحديد المسئولية والمسئولين وحتى نستطيع استخلاص العبرة من تاريخ ذلك الاحتلال .

— ٢ —

لا ، ليس عرابى هو المسئول . ولكن المسئول الأول والأخير هو الدولة العثمانية . تلك الدولة التى دبّ الضعف والانحلال فى جميع أرجائها فاستحقت بذلك لقبها المشهور « الرجل الريض »

ألم تقف الدولة العثمانية عقبة كؤودا فى سبيل نهوض مصر؟ ألم تعمل السياسة العثمانية على إبقاء مصر ضعيفة ظناً منها أن هذا الضعف هو الوسيلة الوحيدة لبقاء مصر داخل نطاقها ؟ ! ثم هذا الموقف المضحك المزرى الذى وقفته إزاء الثورة العرابية ! كيف ترتضى لنفسها الاشتراك فى تمثيلية مؤتمر الآستانة ؟ ! وبأى حق تسمح للدول الأوربية أن تقحم أنوفها فيما لا يعنيها ؟!

وكيف تنخدع هى الأخرى بهذا المؤتمر وبسراب الخطب التى ألقيت فيه ؟ يعنع مندوبو الدول فى هذا المؤتمر ما أسموه : « ميثاق النزاهة » وفيه تتعهد الحكومات التى يوقع مندوبوها على هذا القرار بأنها فى كل اتفاق يحصل بشأن المسألة المصرية لا تبحث عن احتلال أى جزء من أراضى مصر ولا الحصول على امتياز خاص بها ولا على نيل امتياز تجارى . . الخ »

أحقاً هذا ؟! أحقاً ينخدع الباب العالى ويؤمن بنزاهة الميثاق وتنجح السياسة الإنجليزية فى اتخاذه مخلب القط أثناء الاحتلال . خطب اللورد دفرن سفير إنجلترا وممثلها فى المؤتمر فعرض لتفاصيل الحالة فى مصر قائلاً : « إن وزارة راغب باشا هى أداة فى أيدى الثائرين ، وأن الخديو لا حول له ولا قوة . ثم أهاب بالدول أن تأخذ الثورة المصرية — على حدّ قوله — بالشدة حتى لا يستفحل نفوذها فلا يعود من السّهل استئصال شأفتها . وقال إن الوسائل الفعالية التى يجب اتخاذها لإعادة حكومة منتظمة إلى مصر يجب أن تصدر عن الحضرة السلطانية .

وهكذا نجحت إنجلترا فى إقرارمبدأ التدخل فى شئون مصر الداخلية . بل إن جمود الدولة العثمانية كان سبباً فى تمكين الإنجليز من التدخل بمفردهم بعد أن خلقوا « الحالة القهرية » التى استدعت فى زعمهم ضرب الإسكندرية .

ألم تكن مهزلة المهازل أن يتم ضرب الاسكندرية واحتلالها ومؤتمر الآستانة مع ذلك موجود ولا يستحى المندوبون فيه من مواصلة عقد الجلسات بعد أن تمّ ذلك العدوان ؟

ألا تكون الدولة العثمانية مسئولة عن هذا الاحتلال وهى التى مكنت — سواء بضعفها أو غفلتها أو جمودها — من التدخل الإنجليزى باسمها وباسم الخديو ؟ !

كيف ترضى الوقوف فى جانب الإنجليز — وهى تعلم سياستهم ونياتهم فتؤيّدهم بنفوذها الروحى والسّياسى وتُجاريها فى ذلك الخديو فيطعن الحركة العرابية فى الصميم بإيقاع الانقسام بين رجالها وبالتالى فى القضاء عليها ؟ كيف ترضى الدولة لنفسها هذا الموقف العجيب فتؤيد دهاقنة الإنجليز ضد عرابى ... عُرابى الذى كانت تعلم حق العلم حقيقة نواياه وأطماعه . أليس من العجيب أن يكون عرابى من الخطورة على الدولة العثمانية وعلى الخديو بحيث يضطرها إلى الاستعانة بإنجلترا فى القضاء عليه ؟ أما كانت الدّولة العثمانية بتصرفها هذا كالمستجير من الرمضاء بالنار ؟ والله يعلم أن حركة عرابى والعرابيين كانت على الدولة وعلى مصر أبعد شىء عن الرمضاء ، وأن الانجليز كانوا على البلاد وعلى الدولة أشد خطراً من النار .

ألم يكن موقف الخديو من الحركة العرابيـة معولاً قوياً من معاول هدمها ؟ كتب الخديو إلى الأميرال سيمور بعد ضرب الاسكندرية يقول على لسان رئيس وزرائه : « كونوا إذن على علم بأن الجناب الخديو عزم على عزل عرابى من وظيفته ، فهو لذلك وحده المسئول عما يحدث » ويرسل الخديو تلغرافاً إلى عرابى بكفر الدوار يأمره بالكف عن الاستعدادات الحربية ويؤيد بذلك وجهة النظر الإنجليزية فى ضرب الاسكندرية « اعلموا أن ما حصل من ضرب المدافع من الدونننمة الانجليزية على طوابى الإسكندرية إنما كان السبب فيه استمرار الأعمال التى كانت جارية بالطوابى وتركيب المدافع التى كلما يصير الاستفهام عنها كان يصير إخفاؤها وإنكارها »ثم يعزله فى النهاية « لقد عزلنا كم من نظارة الجهادية والبحرية ، وأصدرنا أمرنا هذا لكم بما ذكر ليكون معلوماً » ويكتب الخديو بعد ذلك منشوراً إلى الأمة يحذرها فيه من الانضمام إلى عرابى وإلى مناصرة الجيش الإنجليزى والامتناع عن معاونة العرابيين .

ركن المعتزلة :

علم الله فى مذهب المعتزلة

للدكتور البير نصري نادر

إن نفى المتزلة لصفات الله لم يمنعها من البحث فى بعض الصفات كصفة العلم والقدرة والإرادة والعدل على زعم أنها اعتبارات ذهنية وملائمة لنا حسب قول أبى الهذيل العلاف الذى يقول : إذا تحدثنا عن علم الله أو عن قدرته مثلا فذلك لأننا ننظر إليه تعالى من أوجه مختلفة فى حين أنه تعالى ذات واحدة وأزلية[1] ونحن مخلوقات مركبة وحادثة ؛ لذلك نلجأ إلى هذه الاعتبارات وخصوصاً إننا عاجزون عن إدراك اللامتناهى .

ويزيد إبراهيم النظام قائلاً : معنى قولى إن الله عالم إثبات ذاته ونفى الجهل عنه . ومعنى قولى قادر إثبات ذاته ونفى العجز عنه . ومعنى قولى حى إثبات ذاته ونفي الموت عنه . وكذلك الأمر فى سائر صفات الذات[2] . فهكذا لا توجد سوى ذات واحدة أزلية ننظر نحن إليها نظرة تجزئية فى حين أن هذه الأجزاء أعنى الصفات غير موجودة البتة فيها ؛ فقط طبيعة عقلنا الناقصة العاجزة تلجئنا إليها . وأول هذه الصفات التى يبحثها المتزلة هى صفة العلم.

(١) مقالات الإسلاميين للاشعرى ص ٤٨٦ — كتاب الانتصار للخياط ص ٧٥

(٢) مقالات الاسلاميين للاشعرى ص ١٦٦ و ص ٤٨٦ .

علم الله هو الله :

لما نفى واصل بن عطاء كل صفة عن الله تعالى رد جميع الصفات إلى ذات واحدة . وزاد أبو الهذيل توكيداً فى رد هذه الصفات إلى الذات قائلا : إن علم الله هو (أى الله) وإن الله يعلم نفسه وإن نفسه ليست بذى غاية ولا نهاية[1] فإذاً علم الله لا متناهى كما أن الذات لا متناهية . ويضيف أبو الهذيل قائلا إن الله يعلم حقيقة ، ليس يعلم أزلى (قديم) مميزعن ذاته كقول النابتة ، وليس يعلم مكتسب محدث كقول الرافضة ، بل إنه عالم بذاته[2] . حتى إن أبا الهذيل والنظام كانا يقولان : معنى قولنا عالم هو إثبات ذاته ونفى الجهل عنه . فالذات هى العلم والعلم هوالذات لا يمكن فصلهما وكذلك الحال فى الصفات الأخرى .

ويذهب معمر[3] وهو من أعظم المعتزلة مرتبة فى تدقيق

(١) الانتصار للخياط ص ٨ ؛ ٧٥ ؛ ١٠٨ ؛ ١٢٣ — مقالات الاسلاميين للاشعرى ص ١٦٥ ؛ ٤٨٤ .

(٢) الشهرستانى : الملل والنحل على هامش ابن حزم ج ١ ص ٥٧ .

(٣) معمر بن عباد السلمى من موالى بنى سالم توفى سنة ٢٢٩ كان معاصراً لأبى الهذيل والنظام . أخذ الاعتزال عن عثمان الطويل صاحب واصل ابن عطاء رأس المعتزلة . ومعمر أستاذ بشر بن المعتمر رأس معتزلة بغداد .

وهكذا نجح الإنجليز فى صبغ تدخلهم بالصبغة الشرعية تلك الصبغة التى أخذت تزداد كلما توالت المنشورات وهى لا تفتأ تردد عصيان عرابى وتتوعده هو ومن ينحاز إليه بالعقاب . وحين فتح الانجليز الجبهة الشرقية كان الخديو فى الوقت الذى يتوعد فيه عرابى يرسل كتب التهنئة إلى أركان حرب الجيش الإنجليزى بما يحرزون من انتصارات ! وهكذا مكن موقف الدولة العثمانية وموقف الخديو قائد الجيش الإنجليزى من أن يعلن المصريين بأن جيشهم إنما هو تجريدة عسكرية إلى القطر المصرى ليست إلا لتأييد سلطة الحضرة الخديوية ؛ وأن قائد الجيوش يُسرُّ جداً من زيارة مشايخ البلاد وغيرهم من الذين يودون المساعدة لردع العصيان الذى هو ضد الحضرة الخديوية الحاكم والوالى الشرعى على القطر المصرى المعين من لدن الذات الشاهانية .

وقد كان محمد سلطان باشا رئيس مجلس النواب نائباً عن الخديو فى مرافقة الجنرال ولسلى فى زحفه على العاصمة ، بل لقد كان الخديو قد أعطى للانجليز ترخيصاً باحتلال القناة .

وجاءت الدولة العثمانية فأعلنت عصيان عرابى والحرب قائمة ونشر ذلك الإعلان فى جريدة (الجوائب) التى كانت تصدر باللغة العربية بالآستانة ،وقام سلطان باشا بتوزيع نسخ تلك الجريدة بين الأهالى والأعيان بل وبين كبار الضباط .

حقاً لقد كانت الدولة العثمانية بتصرفاتها طابوراً خامساً طعن الحركة العرابية طعنة نجلاء ومهد لرسوخ قدم الاحتلال .

ولكن مهلاً أيها القارئ العزيز حتى نستعرض الرأى الثالث والأخير .

(البقية فى العدد القادم)

كمال الصيد درويش

القول بنفى الصفات إلى القول بأن الله تعالى محال أن يعلم نفسه لأن من شرط المعلوم عنده أن يكون غير العالم به ، وهكذا يكون العالم متميزاً عن المعلوم . ولـكن معمر رد هذا التمييز بينهما خوفا من أن يؤدى بنا إلى الاعتقاد بأن علم الله مميز حقيقة عن ذاته فرفض القول بأن الله يعلم نفسه وقال بأن العالم والمعلوم واحد أى أن علم الله هو ذاته (أى ذات الله) وعلى ذلك لا يكون العلم منفصلا فى الله ولـكنه دائما فيه قديم وغير مميز عن ذاته[1] .

لذلك قال جمهور المعتزلة : إطلاق العلم لله عز وجل إنما هو مجاز لاحقيقة ، وإنما معناه أنه تعالى لا يجهل[2] فتكون المعادلة خالصة كاملة تامة بين ماهية الله وعلمه ، كما أن هذه المعادلة كاملة أيضاً بين الماهية وأى صفة من الصفات الأخرى والتى هى فى نظر المعتزلة اعتبارات ذهنية ليس إلا —

مصدر هذه الفكرة :

يقول أرسطو فى مقالته الثانية عشرة من كتاب ما بعد الطبيعة أن الله علمٌ كله ؛ قدرةٌ كله ؛ حياةٌ كله ؛ سمعٌ كله ؛ بصر كله . وقرأ أبو الهذيل والنظام فى بغداد ترجمة مؤلفات أرسطو وأفلاطون فيكون أبو الهذيل قد أخذ هذا القول عن أرسطو على حسب ماجاء فى مقالات الإسلاميين للاشعرى[3] وحسّن أبو الهذيل اللفظ من عند نفسه وقال : علمه هوهو ، وقدرته هى هو — ويؤكد الشهرستانى ذلك بقوله إن أبا الهذيل اقتبس هذا الرأى من الفلاسفة الذين اعتقدوا أن ذاته واحدة لا كثرة فيها بوجه ، وإنما الصفات ليست وراء الذات معانى قائمة بذاته بل هى ذاته[4] . والمعروف أن هذا هو قول أرسطو .

وهناك سبب آخر جعل أبا الهذيل أولا ثم المعتزلة ثانياً يردون الصفات إلى الذات . يقول أبو الهذيل : هناك فرق بين قول القائل إن الله عالم بذاته لا يعلم ، وبين قول القائل إن الله عالم يعلم هو ذاته ، وهو أن القول الأول نفى الصفة والثانى إثبات ذات هو بعينه صفة أو إثبات صفة هى بعينها ذات ؛ وإذا أثبت أبو الهذيل هذه الصفات (العلم والقدرة والحياة والعدل) وجوهاً للذات فهى بعينها أقانيم النصاري — لذلك نفى القول الثانى القائل بأن الله عالم يعلم هو ذاته حتى يرد الأقانيم عند النصارى .

قدم علم الله :

لما كان علم الله هو الله ، ولما كانت ذاته تعالى تتصف بالقدم ، فإذاً علمه قديم أيضاً . وهذه نقطة فى غاية الأهمية عند المعتزلة . ولا ينفك أبو الهذيل والنظام يرددان القول بقدم العلم[1] . ويقول هشام الفوطى[2] إن الله لم يزل عالماً لنفسه لا يعلم سواه قديم ولا يعلم محدث وإن الله لم يزل عالماً بأنه سيخلق الدنيا ثم يفنيها ثم يعيد أهلها (فريق فى الجنة وفريق فى السعير)[3] .

تضيف المعتزلة على قولها إن الله لم يزل عالماً بنفسه قولها بأنه تعالى عالم لذاته أزلا بما سيكون (والمستقبل لا يوجد إلا بالنسبة لنا وليس له وجود عند الله) . وهناك فارق كبير بين علم الله وعلم الإنسان : فعلمنا بما سيكون هو علم بشىء جائز ، على عكس علمنا بما يكون فإنه علم بشىء متحقق واقعى . ولكن علم الله هو علم بشىء حقيق لا بشىء جائز ، لأن الجائز يمكن أن لا يتحقق وعلم الله لا يتعلق به[4] .

اعتراضه على هذا القول : اعتراضه هشام بن الحكم :

بما أن الله لم يزل عالماً بالأشياء حتى قبل وجودها ولم يزل قادراً عليها فهل ما يعلمه الله وما يقدر عليه قديم أيضاً ؟ هذا سؤال وجهه هشام بن الحكم (الرافضى) إلى المعتزلة قائلا لهم : إن كان الله عالماً بدقائق الأمور وجلائلها لنفسه فهو لم يزل يعلم أن الجسم متحرك لنفسه لأنه الآن عالم لذلك وما علمه الآن فهو لم يزل عالماً به . فإن كان هذا هكذا فلم يزل الجسم متحركا لأنه لا يجوز أن يكون الله لم يزل عالماً بأن الجسم متحرك إلا وفى الوجود جسم متحرك على ما وقع به العلم[5] .

(١) البغدادى : الفرق بين الفرق ص ١٤١ — الشهرستانى : الملل على هامش ابن جزم جـ ١ ص ٧٥ .
(٢) ابن حزم : الفصل جـ ٢ ص ٩٩ .
(٣) مقالات الاسلاميين للاشعرى ص ٤٨٥ .
(٤) الشهرستاني : الملل جـ ١ ص ٥٧ - الأسفرائينى : التبصير فى الدين ص ٤٢ .

(١) الخياط : الانتصار ص ٨ و ٧٥ و ١٠٨ و ١٢٣ — الأشعرى : مقالات الاسلاميين ص ١٦٥ و ٤٨٤ .
(٢) هو هشام بن عمر الشيبانى الفوطى المتوفى سنة ٣١٨ هـ أصله من البصرة دعاه المأمون لمجلسه فى بغداد وكان هشام من أشد المعتزلة تعصبا
(٣) الخياط : الانتصار ص ٦٠ .
(٤) الشهرستانى : نهاية الأقدام ص ٢٢٠ .
(٥) الخياط : الانتصار ص ١٠٨ .

من كتاب قصور العرب :

غُمْـــــدانُ

للأُستاذ كاظم المظفر

(بقية ما نشر فى العدد الماضى)

وقد وصف الشعراء غُمدانًا وصفاً يكاد القارىء أن يتوهم لأول وهلة أنه بعيد عن الحقيقة ، أو هو من نسج أخيلة الشعراء ؛ ولكن عند التأمل والإمعان لا يرى فيه غرابة ، ولاسيما وإن كثيراً من المؤرخين الباحثين (المستشرقين) الذين أخذوا على عاتقهم إحياء آثار العرب القديمة ، شاهدوا بعض أنقاض تلكم القصور العظيمة ، وتحدثوا عن عظمة الأسلاف ، وما كانوا عليه من قديم العصور من رقى وتقدم فى مضمار الحضارة .

وفى غمدان وملوك اليمن يقول دعبل بن على الخزاعى :(١)

منازل الحى من غمدان فالنضد ... فمأرب فظفار الملك فالجَنَد
أرى التبابع والأقيال من يَمن ... أهل الجياد وأهل البيض والزَّرد
ما دخلوا قرية إلا وقد كتبوا ... بها كتاباً فلم يُدرس ولم يبد
بالقيروان وباب الصين قد زبروا ... وباب مرو وباب الهند والصُّغد

وقال أبو الصلت يمدح ذا يزَن :(١)

أرسلتَ أسداً على سُود الكلاب فقد ... أضحى شريدُهم فى الأرض فلَّالا
فاشرب هنيئاً عليك التاج مرتفقاً ... فى رأس غمدان داراً منك محلالا
قصر بناه أبوك القيل ذو شرح ... فهل يُرى أحد نال الذى نالا
منطق بالرخام المستزاد له ... ترى على كل ركن منه تمثالا
تلك المكارم لا قَعبان من لبن ... شِيبا بماء فعادا بعدُ أبوالا

وأنشد لمصابة الجُرْجرَاى :(٢)

الدار داران إيوان وغُمدان ... والملك ملكان ساسان وقحطان

(١) معجم البلدان جـ ٦ ص ٣٠٢

(١) معجم البلدان جـ ٦ ص ٣٠٢ ، ويروى المسعودى فى مروجه جـ ١ ص ٢٨٤ أن هذه الأبيات لأبى زمعة جد أمية بن أبى الصلت الثقفى وفى الإكليل جـ ٨ ص ١٧ أنها تنسب لأمية بن أبى الصلت ، ويقال إنها مصنوعة ، وأنه لم يقل منها إلا ثلاثة أبيات أو أربعة .

(٢) كتاب البلدان للهمدانى طبعة ليدن ص ٣٦٥

رد المعتزلة :

يبدو هذا الاعتراض وجيهاً فى أول وهلة . ولكن المعتزلة وجدت فيه نقصاً وضعفاً كبيرين — يوجد أولا نقص منطق فى الاعتراض نفسه لأن الله فى مذهب هشام بن الحكم جاهل بالأمور غير عالم بها وهو يعلمها عند وقوعها . وهذا تشبيه شنيع لله بخلقه يناقض كماله تعالى .

ثم هناك ضعف آخر فى الاعتراض وهو إن كان الله لم يزل عالماً بالأشياء قادراً عليها فهذا لا يعنى أن الأشياء المعلومة والمقدور عليها لم تزل موجودة منذ القدم — لأن الفاعل لابد من أن يكون قبل فعله عالماً بكيف يفعله وإلا لم يجز وقوع الفعل منه ، كما أنه إذا لم يكن قادراً على فعله قبل أن يفعله لم يجز وقوع الفعل منه أبداً . ألا ترى أن من لم يحسن السباحة أو الكتابة لم يجز منه وقوعهما ؛ فإذا تعلمهما وعلم كيف يكتب أو يسبح جاز وقوع الكتابة أو السباحة منه . وهذا حكم كل فاعل : لا بد من أن يكون قبل فعله عالماً به وإلا لم يجز وقوعه منه(١) — وبناءً على ذلك تقول المعتزلة إن الله كان ولا شىء معه ، وأنه لم يزل يعلم أنه سيخلق الأجسام وأنها ستتحرك بعد خلقه أياما وتسكن . وإنه لم يزل يعلم أنها متحركة إذا حلتها الحركة وأنها ساكنة إذا حلها السكون ؛ وهو لنفسه لم يزل يعلم أن الجسم قبل حلول الحركة فيه يتحرك ، وأنه فى حال حلول الحركة فيه متحرك — فلا ماض ولا مستقبل فى علمه تعالى لأن علمه هو ذاته وعلمه سابق للمعلومات . فتكون هكذا الأشياء أزلية فى علم الله ، محدثة فى الزمان المعين والمحدث لها من الله . وحدوثها فى الزمان لا يضيف ولا يبدل شيئاً فى علم الله لأن هذا العلم سابق لها .

تبقى مسألة جواز وجود ما يعلمه الله أنه لم يوجد ، ومسألة حرية الإنسان فى فعل المعاصى مع معرفة الله الأزلية لما يفعله الإنسان . وهذه المسألة الأخيرة فى غاية الدقة لأن المعتزلة تفخر بأنها ليست « أهل توحيد » فحسب بل أيضاً « أهل عدل » — وسنبحث إن شاء الله فى مقالنا القادم هذه المسألة الخطيرة .

(البقية فى العدد القادم)

ألبير نصرى نادر
دكتور فى الآداب والفلسفة

(١) الخياط : الانتصار ص ١٠٩ .

وقال علقمة بن ذى يزن :(١)

أبعد غمدان حين أسفى يسفى به المور والرياح
يا عين سلحين فانديه إذ هاض من أهله الجناح

وقال أيضاً :(٢)

لا تهلكن جزعاً فى إثر من ماتا فإنه لا يردُّ الدهر ما فاتا
أبعد غمدان لا عين ولا أثر أم بعد بينون يبنى الناس أبياتا

وقال أيضاً :(٣)

فذاك غمدان محزئلاً(٤) كأنه جبل منيف
يسكنه ماجد أبيّ نوغم قدامه الأنوف

وقال أيضاً :(٥)

هذاك غمدان محزئلاً بناؤه المعجب العجيب
أعلاه مبهمة رخام(٦) عال وأسفله جروب(٧)

وقال أيضاً :(٨)

وتكورت غمدان من صرف الردى من بعد مملكة وبعد تنكر
القيل من قحطان أبهم صخرها وعمادها والقطر غير الأقطر

وقال أيضاً :(٩)

قد كان حسان فى ذؤابة غمدان قرواً يعيش من رغدا

وقال أيضاً :(١٠)

ولم يخلد على الحدثان بان بنى غمدان تهمسه الهموم

وقال ابن أبى عاصية السلمى :(١١)

فهل ناظر من بطن غمدان مبصر قفا أحد رمت المدى المتراخيا
ولو أن داء اليأس بى فأعاننى طبيب بأرواح العقيق شفانيا

(١) الاكليل جـ ٨ ص ٦٠
(٢) الاكليل جـ ٨ ص ٦٨
(٣) نفس المصدر ص ١٩
(٤) من أحزال الجبل : ارتفع فوق السراب .
(٥) الاكليل جـ ٨ ص ١٩
(٦) المبهم : المغلق من الأبواب وذلك أننا رأينا فيما مضى أن بانى غمدان أطبق سقف الغرف برخامة واحدة فكأنها أغلقت بهذه الرخامة .
(٧) جمع جربة على غير قياس وهى المزرعة والقراح من الأرض أو المصلحة لزرع أو غرس .
(٨) الاكليل جـ ٨ صـ ٢٠
(٩) الاكليل جـ ٨ صـ ٢١
(١٠) كذلك صـ ٢٢
(١١) ذيل الأمالى والنوادر لأبى على القالى صـ ١٢٦

وقد ذكر الهمدانى فى بعض مخاطباته لأهل العراق ، وقد كانوا وصفوا بغداد فى مخاطبتهم له ؛ حيث يقول :(١)

أرض تخيرها سام وأوطنها وأس غمدان فيها بعدما احتفرا

وقال الهمدانى أيضاً :(٢)

ما زال سام يرود الأرض مطلباً للطيب غير بقاع الأرض يبنيها
حتى تبوأ غمدانا وشيدها عشرين سقفاً يناغى النجم عاليها
فإن تكن جنة الفردوس عالية فوق السماء فغمدان يحاذيها

وقال ذوجدن الهمدانى :(٣)

وهذا المال ينفد كل يوم لنزل الضيف أوصلة الحقوق
وغمدان الذى حدثت عنه بناه مشيداً فى رأس نيق
بمرمرة وأعلاه رخام تحام لا يغيب بالشقوق
مصابيح السليط يلحن فيه إذا يمسى كتوماض البروق
فأضحى بعد جدته رماداً وغير حسنه لهب الحريق

وقد يقال عن غمدان بمأرب وفيه يقول الهمدانى :(٤)

من بعد غمدان المنيف وأهله وهو الشفاء لقلب من يتفكر
يسمو إلى كبد السماء مصعداً عشرين سقفاً سمكها لا يقصر
ومن السحاب معصب بعمامة ومن الرخام منطق ومؤزر
متلاصقاً بالقطر منه صخرة والجزع بين صروحه والمرمر
وبكل ركن رأس نسر طائر أو رأس ليث من نحاس يزأر
متضمناً فى صدره قطارة(٥) لحساب جزء النهار تقطر
والطير والخفة عليه وفودها ومياهه قنواتها تتهدر
ينبوع عين لا يصردُ شُربها وبرأسه من فوق ذلك منظر
برخامة مبهومة فتى ترد أربابه مدخولة لم يعسر

وقال الأعشى :(٦)

وأهل غمدانُ حيثُ كانوا أجمع ما يجمع الخيار
فصبحتهم من الدواهى نائحة عقبها الدمار

(١) تاريخ اليمن للواسعى اليمانى طبعة السلفية بالقاهرة ص ١١٠ والاكليل جـ ٢ صـ ١٢
(٢) الاكليل جـ ٨ صـ ١٣
(٣) العرب وأطوارهم جـ ١ صـ ١٠
(٤) الاكليل جـ ٨ صـ ١٧
(٥) المراد بالقطارة هنا الساعة المائية . وكان هرون الرشيد أهدى إلى شرلمان قطارة بديعة . ولا جرم أن مثالها كان على غرار هذه القطارة الغمدانية .
(٦) الاكليل جـ ٨ صـ ١٦

وقال آخر من حمير :(١)

وكان لنا غمدان أرضاً نحلها وقاعاً وفيها ربنـا الخير مرثد

وقال ثعلبة بن عمر العبقسى بن سلمة وقيل بل هما لعبد القيس الأزدى : (٢)

ولو كنت فى غمدان تحرس بابه علىّ أراجيـل كمىّ وسائف
إذاً لأتتنى حيث كنت منيتى لعبء مخب لا يرى وهو قائف

وقال مالك بن عمرو بن قضاعة :(٣)

وفى الفرع من غمدان لوح عزنا يعى وفيه بالفـلاح بصيح

وقال الربيع بن ضبع بن ذبيان :(٤)

أجار مجير النمـل من عزّ ملـكه
وأنزل سيف البأس من رأس غمدان

وقال النعمان بن الأسود بن عمرو بن يعفر الحميرى يرثى بلقيس ابنة الهدهاد بن شرحبيل من قصيدة :(٥)

هدهد من طيور أرض بشام فرى فى الهوا على العرش نور
باقتضاء الهدى على ملك بلقيـ س بغمدان إذ أتاها النـذير

وأنشد أسعد تبع بن ملكى كرب من قصيدة :(٦)

جدّى المتوج عبد شمس ذوالعلا شيخ الملوك ومحتوى غمدان

وقال أسعد تبّع أيضاً :(٧)

وغمدان قصر لنا مشرق مآجلـه حوله تزهر
وكان معسكرنا دائماً أزال .وعسكره عسكر

وذكر ابن عبد ربه فى العقد الفريد(٨) فى باب وفود قريش على سيف بن ذى يزن بعد طرده للحبشة قال : قال ابن عباس : لما ظفر سيف بن ذى يزن بالحبشة ، وذلك بعد مولد النبى صلى الله عليه وسلم أتته وفود العرب وأشرافها وشعراؤها تهنئه وتمدحه وتذكر ما كان من بلائه وطلبه بثأر قومه فأتاه وفد قريش وفيهم عبد المطلب بن هاشم ، وأمية بن عبد شمس ، وأسد بن عبد العزى وعبد الله بن جدعان ، فقدموا عليه وهو فى قصر له يقال له غمدان

وقال النويرى(١) : ويقال أن آثار غمدان باقية إلى عصرنا هذا ، وأنه تلّ عال مطلّ على صنعاء .

وقال الهمدانى(٢) : وقد بقى من خدّ غمدان القديم قطعة ذات خراب متلاحك عجيب ، فهى قبالة الباب الأول والثانى من أبواب الجامع الشرقية ، وباقى غمدان تلّ عظيم كالجبل وكثير مما حوله من منازل الصفانيين .

وقال الواسعى اليمانى(٣) عند ذكره لدخول الجيوش التركية لبلاد اليمن : « وقد استولى قسم من الجيش على بقية المعاقل نحو قصر غمدان وأبواب صنعاء وهى عشرة »

وقال الأستاذ أمين الريحانى(٤) : قصر غمدان القديم دُرس والبناء قائم مكانه اليوم يدعى باسمه ، ويختصرونه فى صنعاء فيقولون: القصر ، وفيه معمل الخرطوش ، والسكة ، والسجن .

وقال أيضاً(٥) عند ذكره للامام يحيى ملك اليمن وما لديه من الأخصائيين الذين يستشيرهم فى أعماله ويستعين بهم فى تمشية أموره : « وهذا السيد محمد زبارة أمير القصر ، قصر غمدان ، ومدير السكة والسجن فيه .

ويستنتج من هذا القول الذى ذكره الأستاذ الريحانى أن معالم غمدان لم يبق لها أى مشهد معروف ، وأن آثاره التى قال فيها الهمدانى أنها قطعة خربة بينة الأثر ، والتى قال فيها النويرى أنها تلّ عال مطلّ على صنعاء ، لم تكن كتلك الحال الأول ، وإنما جرى عليها الاضمحلال ، وتغيرت رسومها ، واستبدلت مكانها بناية أخرى تابعة لحكومة الإمام يحيى ، إلا أنها لا زالت تحتفظ بذلك الاسم القديم « غمدان » الذى فاخرت الأجيال بعظمة بنائه ، وجمال صنعه .

النجف — العراق كاظم المظفر

(١) الاكليل جـ ٨ صـ ١٦
(٢) الاكليل جـ ٨ صـ ١٩
(٣) الاكليل جـ ٨ صـ ١٠٢
(٤) كذلك صـ ٢٢٩
(٥) كذلك صـ ٢٤٥
(٦) كذلك صـ ٢٩٣
(٧) كذلك صـ ٢٠
(٨) الجزء الأول صـ ٢٦٨ مطبعة الاستقامة بمصر .

(١) فى كتابه نهاية الارب جـ ١ صـ ٣٧١ .
(٢) الاكليل جـ ٨ صـ ٠٠
(٣) فى كتابه تاريخ اليمن صـ ١١٠ طبعة السلفية بالقاهرة
(٤) فى كتابه ملوك العرب جـ ١ صـ ١٣٧
(٥) ملوك العرب جـ ١ صـ ١٦١

الشيء الصغير

للأستاذ أنور لوقا

تحت هذا العنوان الساذج الغريب قص الأديب الفرنسي ألفونس دوديه تاريخ حياته في كتاب نشره سنة ١٨٦٨ ، وقد أطلق هذا اللقب على بطل القصة ، دانييل إيسيت ، ذلك الغلام السكرة المهمل الذي لا يعنى به أحد لأنه شيء صغير !

ألا يعبر هذا اللقب عن معنى بعيد عميق في نفس الكاتب ؟ أليست له قيمة رمزية أصيلة ؟ ألا يلخص ويعنون ناحية ممتازة من شخصية دوديه وفنه كما لخص وعنون شطراً من حياته ؟ ...

الشيء الصغير هو ما تراه أمامك ولا تلحظه ، ما قد تصطدم به ولا تلتفت إليه ، هو ما يجاورك ويلازمك في أكثر الأحيان ولكنك لا تعيره اهتمامك ولا تأبه له لأنك اعتدته أو لأنه .. شيء صغير !

وهذا « الشيء الصغير » هو قوام قسط كبير من سحر دوديه . فإن كل صفحة من أدبه عامرة بالتفاصيل الدقيقة المنتقاة ، والملامح الخفية الشاردة ، والكلمات القصيرة العابرة التي تترجم خليقة من خلائق الناس ، أو تبرز وضعاً من أوضاع الأشياء ، وتطبع في ذاكرتك إلى الأبد هذا المشهد أو ذاك مما يصف الكاتب

وليس أدل على ذلك من أن لدوديه « طاحونة » أصبحت علماً من أعلام الأدب الفرنسي منذ أن رسم صورة حية لها لا تفارق مخيلة من قرأ ديوان أقاصيصه الريفية « رسائل من طاحونتي » : فهناك قط ضاوي على نافذتها ، وبومة غبراء فوق سطحها المتهدم وشعاع من القمر الساجي يكسوها ليلاً ، ونور غامر يتفجر في أركانها نهاراً ، ونفحة من ريح الشمال تهب عليها ، وغابة من شجر الصنوبر تتدرج أمامها سفح الجبل ...

وقد نشرت « الرسالة » في ٤ / ٤ / ١٩٤٩ ترجمة لتحفة جميلة من أقاصيص ذلك الكتاب عنوانها « الشيخان » ، لا يقرؤها القارئ مرة إلا عاودته مشاهدها مراراً : أولاً مشهد الساعي القروي المجوز الذي يفتتح القصة مزهواً فخوراً إذ يحمل في يده رسالة واردة من باريس ، ثم منظر ميدان إيجوير المقفر في هجير الظهيرة ، ثم بيت صغير يبزغ على الأرض كأنما كان من إشارة عصا سحرية ، ثم صوت نحيل متقطع ينطق من هذا البيت ، صوت طفلة من تلميذات المدارس تقرأ كلمة كلمة وحرفاً حرفاً في كتاب أكبر منها : « حينئذ .. صاح .. القديس .. إرنيه .. إنني .. قمح .. المولى .. ويجب .. أن .. أطحن .. بأنياب .. هذه .. الوحوش .. » وإنها لعبارة خليقة بأن تبعث إلى مخيلتك المكان والزمان والوجوه التي طالعتها بل ودرجة الحرارة إذ ذاك ، فهي تمثل لك الشيخين ، والطفلتين ، وقفص العصافير ، والذباب العالق بالسقف ، والساعة المعتمدة على الحائط ، وقد أخذتهم جميعاً سِنة من النوم . ما ناسب كلام مقتضى الحال كهذه الجملة الوحشية من تاريخ الشهداء الأوائل التي يشبه الأساطير ، تلقيها على مسمع شيخ سطا عليه الكرى في مقعده ساعة القيلولة صبية من بنات ملجأ الأيتام لا تكاد تجيد الهجاء . وأكبر الظن أن دوديه لم يبتدع هذه العبارة ابتداعاً ، وإنما اقتنصها أو اقتنص مثيلة لها على شفتي طفل يتعلم القراءة في بعض كتاتيب القرية أو بعض زوايا الريف ... ثم يلي ذلك مشهد الاستجواب الطريف ، والشيخ الذي يوشك أن يهذي وهو يسأل الفتى الزائر عن لون ورق الغرفة التي يسكنها حفيده المزيز ... ثم تلك المأساة الرهيبة التي تجرى فصولها أمام الصوان العالي إذ تركب الشيخ نزعة الكرم فيحاول إنزال زجاجة الشراب المعتق من مكانها القصي على حين تقف زوجه مرتاعة تثنيه عن عزمه وهي باسطة ذراعيها المرتمشتين لتسنده إذا هوى ... ثم مشهد خروج الشيخ مع الفتى معتداً بقوته ووقوف الشيخة على باب الدار تشيعهما في مقة ... هذا كله ، لا بد أن الكاتب قد رآه بعينه ذات يوم ثم وشاه بخياله المراح ولدينا خير دليل على هذا الخيال المبدع في الحوار الذي أداره الفتى بين مهدى الشيخين في السحر ، وخير دليل على مزج الواقع بالخيال في ملاحظته أن الشيخين متشابهان غاية التشابه لا يميزهما إلا اختلاف الملابس ، أو مطالعته في ابتساميتهما الذابلتين صورة باهتة نائية لوجه حفيدهما المزيز ، صديقه موريس .

ولقد طار صيت ألفونس دوديه بأقصوصة « عنزة السيد سيجان » (نشرت « الرسالة » ترجمة لها في العدد التاسع من السنة الأولى ١٥ / ٥ / ١٩٣٣) ، فما من طفل فرنسي لا يعرف

هذه القصة ولا يرويهـا لك ؛ وإنك لتسمعها منه فى شغف ، ويروقك أن تستعيدها من حين إلى حين . ومع ذلك فليس أيسر من تلخيصها فى سـطر واحد : عنيزة كرهت الحظيرة والقيد فانطلقت إلى الجبل حيث أكلها الذئب . ولـكنها آية من « السهل الممتنع » لاشك تعجز عن تدبيج مثلها الأقلام المترفة الـكبيرة . وإنها لتحقيق طيب لقولة راسين : « ما الفن إلا خلق شيء من لا شيء » .

وإذا ضاق المقام من استعراض روائع التفاصيل فى كثير من قصص دوديه الممتازة ، فلن نستطيع أن نهمل حديث دوديه نفسه عن « الأشياء الصغيرة » وأسلوبه فى النظر إليها — فهو يقول فى سـياق قصة شجية ، خالية تمام الخلو من الأحداث ، جعل عنوانها عبارة صـاحبه « بثلاثمائة ألف فرنك وعدنى بهـا جيراردان ... » :

« هناك آلام غريبة عنا ، لا تربطنا بها وشيجة ، ولا نلمحها إلا مصادفة ، ونحن نعبر مكاناً ما ، فى دقيقة ، أثناء سعينا الحثيث وخلال زحمة الشارع ... تلك أجزاء من أحاديث متقطعة يتبادلها اثنان بين اهتزازات مركبة ؛ هموم عمياء تتـكلم وحدها ، وبصوت مرتفع ؛ كتفان مكدودتان ؛ حركات مجنونة ؛ عيون محمومة ؛ وجوه شاحبة منتفخة من الدموع ؛ أو أحزان حديثة العهد لم يحسن أصحابها كفكفتها فى طيات ما يتدثرون به من سواد ... ثم ، أشياء صغيرة ، تفاصيل خاطفة ، ويالها من توافه ! زيق رداء ، أطالت الفرشاة حَتَّه ، بال ، يلتمس الظـل . . صندوق من صناديق الطرب والموسيق ، تحت باب مسقوف ، تديره يد متسول ولا يُخرج صوتاً .. شريط من المخمل فى عنق حدباء ، مشدود فى قسوة ، محكم العقدة مستقاما بين الـكتفين الشائهتين ... وتمر بك جميع هذه المناظر ، مناظر البلايا المغمورة مراً سريعاً ، وتنساها وأنت سائر .. ولـكنك فى آخر النهار تشعر بدبيب كل ما فى نفسك من التأثر والرثاء والمضض لأنك دون أن تدرى ، قد علقت ، عند منعرج طريق أو أسكُـتَّة باب بهذا الخيط غير المنظور الذى يربط تلك البلايا معاً ، ويرجها جميعاً إذا اهتز هزة واحدة » .

وكان ألفونس دوديه ممن يشكون قصر البصر . ولعل لهذه العاهة أثراً فى عنايته بكل شيء صغير . فإن الرجل المرهف الحس الذى لا تستطيع عينه أن تلم من بعيد بجميع خطوط المنظورات ، يحرص دائماً على أن يقترب من الأشياء ، ويحدق فى كل شيء من كل ناحية ، وينتهى به الأمر إلى أن يسجل للمرئيات صوراً أدق وأصدق وأروع من الصور التى تلتقطها نحن بعيوننا السليمة .

أضف إلى ذلك ما رأينا من اندماجه فى زحمة الشـارع واعتزاله فى برج الشـاعر (راجع عدد ٨٤٦ من « الرسالة ») . ولقد كان أديبنا السـاحر ينشد سكون الريف أو الشاطىء أو الصحراء كلما دار رأسه فى باريس ، وكان يبنى نعمة العزلة التى فيها تصفو ملـكة الناظر وتصفو أحلام الشاعر وتصفوا عبارات الـكاتب .

يقول برجسون ، وهو خير من فطن إلى معنى الفن وغايته وعلاقته بالحياة : « لقد انسدل بين الطبيعة وبيننا ، بل بيننا وبين إدراكنا ، حجاب صفيق عند عامة النـاس ، رقيق ويكاد أن أن يكون شفافاً عند الفنان والشاعر . فالناس لابد أن يعيشوا ، وأن يكسبوا قوتهم ، والحياة تقتضينا أن نقدر الأشـياء تقديراً مبنياً على مدى صلتها بحاجاتنا . فنحن لا نقبل من تأثير الأشياء علينا إلا التأثير النافع لنا ، ثم نلبى هذا التأثير بأعمال هى رد فعل خاص ، أما التأثيرات الأخرى للأشـياء فإننا لا نغفل ، ولا بد أنها تظلم وتمتم ولا تبلغنا إلا غامضة مبهمة مشوشة .

أنا أنظر وأظن أننى أرى ، وأصغى وأظن أننى أسمع ، وأختبر نفسى وأظن أننى أقرأ ما سطر فى أعماق قلبى ، على حين أن ما أراه وما أسمعه من العالم الخارجى ليس إلا ما تستخلصه حواسى لإرشاد سلوكى ، وعلى حين أن ما أعرفه عن نفسى ليس إلا ما يطفو على سطحها وما يشترك بنصيب فى حياتى العملية ... لقد صنفت الأشياء تصنيفاً غايته مقدار الفائدة الذى أستطيع أن أصيبه منها . . وهذا التصنيف هو الذى أراه أكثر مما أرى ألوان الأشياء وأشكالها .. إن شخصية الأشياء والـكائنات تغيب عنا ما دام لا يعود علينا تميزها بنفع مادى . فإذا لا حظناها فلن تـكشف عيننا شخصية الشيء أى هذا الاتساق الخاص من الأشكال والألوان ، هـذا الاتساق الأصيل كل الإصالة ، وإنما تـكتشف واحدة أو اثنتين من الملامح التى تيسر لنا معرفة الشيء عمليا .

جملة القول أننا لا نرى الأشياء نفسها ، وإنما نقتصر فى أكثر

الأحيان على قراءة بطاقات ملصقة عليها . وقد قويت هذه النزعة ، وهي وليدة الحاجة ، تحت تأثير اللغة ... فاللفظ الذى لا يسجل من الشيء إلا وظيفته العامة الشائعة ومظهره الغليظ المبتذل ، يندس بين هذا الشيء وبيننا فيقنع شكله عن عيوننا ، إن لم يكن ذلك الشكل قد احتجب من قبل وراء الحاجات التى خلقت اللفظ نفسه » .

ويخلص برجسون من هذا إلى أن الفنان نفس منقطعة عن الحياة ، لا هذا الانقطاع المقصود المدبر المتعمد ، وإنما هو انقطاع طبيعي راجع إلى خليقة الحس ، يغمر الفنان فى حياة روحية خالصة كالأحلام والرؤى ، وتظهر آثاره مباشرة فى أسلوب البصر والسمع والتفكير بما يزخر بالرموز والكنايات والعموميات ذات النفع المادى ويوقفنا وجهاً لوجه أمام الحقيقة ...

ولألفونس دوديه صفحات كثيرة تصل إلى هذه الطبقة ، حسبنا هنا أن نقتبس فقرة قصيرة من حديث الراعى البروفنسى الذى بات يروى أساطير « النجوم » لابنة سادته . إنه يشعر شعوراً ساحراً فوق الجبل ، فهو يعرف ما الذى يجرى فيها أحسن مما يعرفه أهل السهل » . وهو مع ذلك لا يتكلم إلا كلاما ساذجا « لو أتيح لك أن تقضى الليل ساهراً ، لعرفت أن فى الساعة التى نرقد فيها ، يستيقظ عالم سحرى يغمر العزلة والسكون . هناك تغنى الينابيع غناء أصفى وأجهر ، وتوقد الغدران جذوات صغاراً ، وتذهب جميع الأرواح الهائمة فى الجبل وتجيء حسرة طليقة ؛ وإذا أنت تحس فى الهواء خفيفاً وأصواتاً خفيضة لا تكاد تدركها الأذن ، إن النهار دنيا الأحياء ، أما الليل لحياة الأشياء » .

وقد عاش دوديه مع الأشياء الصغيرة ، بل عاش فيها وعاشت فيه ، بالمعنى الحرفى لهذه الكلمات . هو ذا يصف أياما قضاها على شاطىء كورسيكا فيقول : « كنت إذا لم تعصف المسترال أو ريح الشمال آتى فأستلقى بين صخرتين قائمتين فى مستوى سطح الماء ، وسط الحمائم والشحارير والسنونو ، وأكاد أقيم النهار كله على هذه الحال من الشرود والاعتلال اللذيذ الذى يندقه تأمل البحر . ألا تعرف هذه النشوة العذبة التى تغمر النفس ؟ هناك لا يفكر المرء ، ولا يحلم ، وإنما يشرد كل كيانه ، ويطير ، ويتشتت . فإذا أنت هذا الطائر الذى ينطس فى الماء ، وإذا أنت رذاذ هذا الزبد الذى يطفو فى نور الشمس بين موجتين ، وإذا أنت ذلك الدخان الأبيض الذى يتصاعد من تلك السفينة التى تبتعد ، وإذا أنت هذا الزورق الصغير الأحمر الشراع ، وأنت هذه اللؤلؤة من الماء ، وهذا النشاء من الضباب ، أنت كل شيء ما عدا نفسك ... »

وقد يكون من العبث الطريف أن نحاول إحصاء كلمة « الصغير » فى كتاب من كتب دوديه . إنها تتردد مراراً فى الصفحة الواحدة ، بل فى الفترة الواحدة ... ولكن الحياة المادية الحديثة التى أصبح المرء لا يبحث فيها إلا عن الكسب ، والمتعة القريبة المباشرة ، قد انتهت بالحس الإنسانى إلى التبلد والمجون ، وصرفت النفوس عن الأشياء البعيدة والأشياء الصغيرة صرفاً يكاد يصل إلى إنكار وجود هذه الأشياء ... على أننا نستطيع أن نستعير من منطق المادية الغليظة دفاعا عن الشيء الصغير : فتلك البذرة الضئيلة التى لم تستوقف عينك لحظة هى التى أنبتت هذه الدوحة العظيمة التى تروعك بجذعها الضخم وأغصانها الملتفة ، وزهرها الوضاح وثمرها الغزير ؛ وبعض الغدد الصغيرة التى كان يجهل الطب القديم مكانها من جسم الإنسان أضحت اليوم فى ضوء الطب الحديث أهم وظيفة وأخطر شأنا من الأعضاء الكبيرة الشهيرة ؛ بل حسبنا أن نذكر أن عصرنا هو عصر « الذرة » ...

يرحم الله جوته فقد قال عن الشاعر إنه « من يستخلص المعنى الرفيع من الشيء الوضيع » ؛ ويرحم الله ألفونس دوديه ، فقد كان يقول لابنه ليون : « إن للأشياء معنى ، مكانا نستطيع أن نمسكها منه » .

أنور لوقا
مدرس منتدب بكلية الآداب بجامعة فؤاد الأول

تسابيح وابتهالات ...

للأستاذ عبد القادر رشيد الناصري

(صدقت من زعم أنه سلاها وراح يشبب بغيرها ، وعند ما استبد بها الحنين أقبلت عليه ، تعاتبه فما كان منه إلا أن زف لدنياها هذا اللحن الندى المفهاف)

قالت معاتبةً ، وعيناها تُعاتبُ ناظرى
وقد استبدَ بها الحنين إلى الحبيب الهاجر
وتنهدت عن خافق بِأسى الصبابة زاخر
أسلوتنى !. أم لا يزال هواك لى يا شاعرى
فأجبتها والشوقُ ملتهبٌ يؤجُ بخاطِرى

لولا عيونك «ياهناء» لما أبحتُ السهد جفنى
ولما تسربلتُ الخيال محلقاً فى كل فن
ولما كرهت جحيمَ أحلامى وأنَّاتى ودنى
ولكنت أبقى حيث أغلالى وأوهامى وسجنى
كالبلبل المسحور لم تسمع بشجوى أى أذن

قسماً بعينك وهى ينبوع ابتهالات الحياة
قسماً بثغرك حين يتلو تحت ثغرى أغنياتى
قسماً بحبينا . . بتلك الأمسيات الخالدات
ما عشت إلا كى تبارك حبنا الزاكى صلاتى
أنت الهوى والشعر والإلهام لا بل أنت ذاتى

يا فتنتى أنا شاعر أهوى الجمال الشاعريا
كم رحتُ أستوحيه أنغاماً وشعراً عبقريا
وأذيعُه لحناً على العشاق هفهافاً نديا
يا جنتى يا من رأيت بعينها الأمل الشهيا
لولاك كانت هذه الدنيا جحيماً سرمديا

(بغداد) عبد القادر رشيد الناصرى

مواكب الصحراء ...

للأستاذ ابراهيم الوائلى

أترانى — وقد هجرت غنائى — مزجياً غير أنة خرساء ؟
ليس بدعاً إذا تحطم قيثا رى وأمسى مبعثر الأشلاء
واتخذت الحنين فى موكب اللي ل لحوناً شجية الأصداء
فأنا الطائر الذى فقد العش وولى يهيم فى بيداء
تائه ضلَّ فى مسارب ليل مكفهر مطلسم الأرجاء
تترامى عن جانبيه رمال بعثرتها الرياح فى الصحراء
وكهوف تنمَّر الوحش فيها لاهثاً لا يعب غير الدماء
تائه ضل والعواصف هوج يتناوحن فى حشا الظلماء
والتهاويل كل سوداء تلقى ظلَّها فوق أختها السوداء
يا له من معذب فى الدجى شارد الفكر !
بين حشد من الهواجس مجنونة الصور
وحشة الليل حيث لا النجم يبدو ولا القمر
والخيالات أعين يتقادحن بالشرر
عالم يلتقى به أينما طاف أو عبر

جُنَّت البيد فالسكون هباء ذوَّبته الرياح بين يديا
كلما قلت : سوف يطلع فجر تخذ الليل قولتى سخريا
كلما قلت : سوف ألمح نجما قالت السحب : لن ترى ثم شيًّا
نم على الشوك فى القفار وحيدا وتنسم غبارها وتفيًّا
واسمع الريح إن أردت غناء وتجرَّع من الجلاميد ريًّا
ليس فى القفر غير دنيا من التيه يعيش الطريد فيها ويحيا
أتظن الأشواك مثوى رقيقاً أم تظن الرياح لحناً رخيًّا ؟
أم تخال الصخور تندى فتروى ظمأ أو تبل قلباً صديًّا ؟
عش كما شاءت الحياة غريباً واتخذ وحشة الظلام نجيًّا
إيه يا ليل لم تدع غير صمتى ولم تذر !
كل ما فيك مرعب من خيال ومن أثر
صور جهمة الرؤى ملء أذنىَّ والبصر
والطريق المخيف يزخر بالشوك والحفر
عالم يلتقى به كل من طاف أو عبر

ابراهيم الوائلى

تعقيبات

للأستاذ أنور المعداوى

قضية الأمانة العلمية بين أستاذين في الجامعة :

... ...

هذه قضية يعرضها علينا الدكتور جمال الدين الشيال مدرس التاريخ الإسلامى بجامعة فاروق، أما موضوعها فيدور حول محور الأمانة العلمية كما يفهمها الجامعيون طلاباً وأساتذة ، وكما يجب أن يفهمها الرأى العام الفنى ممثلا فى طبقات المثقفين ممن يقرأون « الرسالة » ، وهذه هى المحكمة التى نود أن نعرض عليها أدوار القضية ، القضية التى يريد الدكتور الشيال من جهته أن يتقدم بها إلى ساحة القضاء مطالباً بحفظ حقوقه الأدبية والمادية ... ونترك الدكتور الشيال يروى فصول القصة ، ونرجىء التعقيب حتى نهيىء بهذا الإرجاء فرصة الرد للدكتور محمد فؤاد شكرى أستاذ التاريخ الحديث المساعد بجامعة فؤاد :

« فى إبريل سنة ١٩٤٥ تقدمت إلى جامعة فاروق الأول برسالة عنوانها (تاريخ الترجمة فى مصر فى النصف الأول من القرن التاسع عشر) أرخت فيها — ولأول مرة — لحركة النقل عن الغرب فى عهد الحملة الفرنسية وفى عصر محمد على ، وقد نوقشت هذه الرسالة أمام لجنة مكونة من الأساتذة : عبد الحميد العبادى بك ، ومحمد شفيق غربال بك ، والدكتور محمد مصطفى صفوت الذين أجازوها لدرجة الماجستير مع مرتبة الشرف الأولى ... ثم تقدمت بهذه الرسالة إلى مسابقة البحث الأدبى لسنة ١٩٤٦ التى عقدها المجمع الملكى للغة العربية ففازت بالجائزة ، وكانت اللجنة التى قرأت الرسالة وأقرت أحقيتها بالجائزة تتكون من الأساتذة : المرحوم أنطون الجميل باشا ، ومحمد فريد أبو حديد بك ، ومحمد أحمد العوامرى بك ، والدكتور ابراهيم بيومى مدكور .

وفى صيف سنة ١٩٤٧ زارنى فى منزلى بالأسكندرية الدكتور محمد فؤاد شكرى أستاذ التاريخ الحديث المساعد بجامعة فؤاد ، وطلب منى أن أعيره رسالتى ليطلع عليها فبينت لحضرته أننى لا أملك إلا نسختى الأولى المخطوطة بيدى وقدمتها إليه بكل ترحاب ، فأخذها معه ، وأبقاها عنده أكثر من عشرة أيام قرأها كلها فى خلالها ، ثم أعادها إلى فلم يجدنى بالمنزل فسلمها لمن به ومعها بطاقة باسمه — لا زلت أحتفظ بها — قال فيها بالحرف الواحد :

« أهنئك على هذا المجهود العلمى الصادق ، وأرجو أن تتاح لك الفرصة لنشر هذه البحوث القيمة حتى يفيد منها المشتغلون بتاريخ مصر الحديث ، وأشكرك بإعطائى هذا البحث الرصين لقراءته والإفادة منه ، وأرجو أن أتمكن من زيارتكم فى فرصة قريبة أخرى لإسداء الشكر الخالص » .

وفى صيف سنة ١٩٤٨ ظهر كتاب جديد فى ٨٤٠ صفحة من تأليف الدكتور شكرى وزميلين له من المدرسين فى المدارس الثانوية ، وعنوان الكتاب : « بناء دولة — مصر محمد على » وقرأت فى الصحف أن الكتاب يتضمن ترجمة كاملة لكثير من تقارير الأوربيين عن حكومة محمد على ، أمثال بورنج وبوالكمت وكامبل ... ولحاجتى الدائمة لهذه التقارير أسرعت فاشتريت نسخة من الكتاب . وتصفحتها فإذا بها تتكون من قسمين : قسم مؤلف فى نحو ٢٠٠ صفحة ، وقسم يحتوى الترجمات السابق ذكرها فى ٦٠٠ صفحة ، وقلبت صفحات القسم المؤلف فإذا بى أجد فصلاً فى ٢٠ صفحة كبيرة عن « الترجمة والطبع والنشر فى عصر محمد على » ، وقرأت هذا الفصل فرأيت ويالهول ما رأيت ، رأيت الصديق والزميل الفاضل أستاذ التاريخ الحديث المساعد قد سطا على رسالتى سطواً تاماً فلخصها فى هذا الفصل تلخيصاً كاملاً !!

حتى المنهج — منهجى فى البحث — قد سطا عليه فقد التزمه عند التلخيص وتتبع أبوابه وفصوله باباً باباً وفصلاً فصلاً ، لم يحد عنه قيد أنملة : فهو قد بدأ بالكلام عن بواعث حركة الترجمة فى عصر محمد على ، وانتقل منها إلى الحديث عن المترجمين فقسمهم إلى مترجمين من السوريين ، ثم من خريجى المدارس والبعثات ، ثم من خريجى مدرسة الألسن ، ثم من الموظفين ... تماماً كما فعلت .

وترك هذا الفصل إلى الفصل الذى يليه فى رسالتى وموضوعه التحدث عن المحررين والمصححين ، فإذا فرغ منه انتقل إلى الحديث عن القواميس والمعاجم كما انتقلت أنا ، وترك هذا كله فتحدث كما تحدثت عن حركة الطباعة والنشر باعتبارها آخر مرحلة من مراحل حركة الترجمة ... حتى اللاحق — ملاحق الرسالة — لم يتركها لى ، فقد ألحقت بالرسالة مجموعة كبيرة من

الجداول أحصيت فيها بعد جهود شاقة الكتب التي ترجمت في عصر محمد علي ، مع بيانات وافية عن مؤلفيها ومترجميها وأوصافها الخ ، وقد قدمت لهذه اللاحق بالحديث عن المحاولات التي سبقتني في هذا الميدان ، ورتبتها ترتيباً تاريخياً مع بيان نواحي القصور فيها لإيضاح قيمة الجديد في جداولي ، وقد سطا الدكتور شكري على هذا أيضاً فأثبته تماماً كما أوردته في رسالتي !

ومن هنا ترى أن الدكتور شكري قد سطا على الرسالة منهجاً وموضوعاً ، وإذا أنت قارنت بعد ذلك بينها وبين فصله لتبين لك في وضوح تام أنه لم يسط على المنهج والأفكار فقط ، وإنما قد سطا على العبارات والألفاظ كذلك ، فنحو ٨٠ ٪ من عباراته هي عباراتي بألفاظها وحروفها . ومع هذا كله لم يشر حضرته بحرف واحد — لا في الهامش ولا في قوائم المراجع على كثرتها البالغة في نهاية الكتاب — إليّ أو إلى رسالتي ، لا بشكر ولا بما يفيد رجوعه إليها واعتماده عليها وحدها اعتماداً كاملاً تاماً عند كتابة هذا الفصل ... وهكذا ترى كيف يقيم أساتذة الجامعة لواء الأمانة العلمية !!

سلسلة من الأخطاء : هذه رسالة علمية لم تطبع بعد ، فالنقل عنها والرجوع إليها يستلزم أن يستأذن صاحبها أولاً ، والدكتور شكري لم يستأذني في هذا ، مع أن التقاليد الجامعية في العالم كله تلزم الناس بهذا ، فكل بحث يقدم إلى أي جامعة تودع نسخة منه في مكتبتها ، ولكن هذه النسخة تظل عشرة سنوات كاملة — ما دامت لم تطبع — ولا يمكن أن تمار لإنسان كائناً من كان إلا بإذن صاحبها الخاص ، وإذا اطلع عليها مطلع وأراد النقل عنها في مؤلف له سيطبعه فلا بد أن يستأذن صاحب البحث في هذا ، بل إنني أعرف كتباً استعمل أصحابها صوراً — صوراً شمسية لا أفكاراً — موجودة في كتب لمؤلفين آخرين ، فاستأذنوا أصحاب هذه الصور ، ونصوا في كتبهم على هذا مع تقديم الشكر لأصحاب الصور !

أما الخطأ الثاني فأغرب ، فالمعروف أن المؤلف إذا أفاد من جهود غيره نقل عنها فكرة أو جملة ، أما أن يسطو على مؤلف بحاله فيلخصه تلخيصاً كاملاً ، وينقل معظم عباراته بحروفها فأمر لم أره إلا في كتاب الزميل الدكتور شكري ! ... أما الخطأ الثالث فأغرب وأغرب ، فالمعتاد إذا استشهد المؤلف بأقوال غيره أن يضعها بين أقواس وأن يشير إلى المرجع في الهوامش ، وأن يقدم الشكر لمن ينقل عنه وخاصة إذا كان مرجعه الوحيد في الموضوع الذي يكتب عنه ، والزميل الفاضل الدكتور شكري أهمل الإشارة إلى بحثي إهمالاً تاماً ... قد يدعي حضرته بعد هذا أنه نسي أو تناسى ، أما كان يمكن أن يذكرنسيانه بالاشارة السريعة في آخر صفحة من الكتاب أو في المقدمة ، وهي آخر شيء ، قدمه إلى المطبعة ، حتى هذا لم يفعله ، ولكنه قال في مقدمة كتابه : « وليس من سبيل إلى معالجة هذا الاضطراب إلا بمعاودة النظر في ذلك التاريخ (تاريخ محمد علي) لكشف ما خفي من حقائقه ، وتفصيل ما أجمل من دقائقه في حدود الأمانة العلمية » ... أجل ، في حدود الأمانة العلمية كما يقول الدكتور شكري ، واقرأ معي واضحك ، وشر البليه ما يضحك !!

وأخيراً لعل الشك يساورك فيما أقول ، ولكنني أعلن إليك أنني أحتكم في هذا الموضوع إلى حضرات الأساتذة الأجلاء الذين ناقشوا الرسالة في الجامعة ، والذين رشحوها لنيل الجائزة في المجمع ، فهم جميعاً قد قرأوها قراءة فهم واستيعاب ، وأمامهم كتاب الدكتور شكري يقرأونه ويقارنون . . وإني على استعداد لأن أقدم نماذج من القارنات ، بين نصوص رسالتي الأصلية ونصوص الدكتور شكري الملخصة لتتبين في وضوح صدق هذا الذي أقرره ! وقد فكرت جدياً في رفع الأمر للقضاء محافظة على حقوق الأدبية والمادية ، ولكنني رفقت أخيراً بسمعة الدكتور شكري العلمية ، وآثرت أن أكتب إلى عميد كلية الآداب والدكتور شكري أستاذ من أساتذة الكلية ، وغاية ما أرجو أن يطلب إليه الأستاذ العميد :

١ — أن ينشر تصريحاً موقعاً عليه منه في الأهرام ومجلة الرسالة ومجلة الكتاب بنص فيه صراحة أنه اعتمد — عند كتابة هذا الفصل من كتابه — على رسالتي اعتماداً كلياً ، ويعتذر عن عدم الإشارة إلى ذلك في هوامش الكتاب ومراجعه .

٢ — أن يكتب لي كتاباً خاصاً يذكر فيه هذه الحقيقة ويعتذر عما فعل . « دكتور جمال الدين الشيال »

هذه هي القضية كما يعرض أدوارها علينا الدكتور الشيال ، ومن حقه علينا أن نعرضها بدورنا على محكمة الرأي العام الفني ، كما أن من حق الدكتور شكري علينا أيضاً ألا نتناوله بكلمة

واحدة فى مجال التعقيب على ما حدث ، حتى نسمع دفاعه ... وهذا هو الانصاف الذى تفرضه علينا « الأمانة القلميـة » بالنسبة إلى الأستاذين الفاضلين !

حول الموسيقار الإيطالى الصغير فيرونتشو بوركو :

طفل إيطالى لم يتخط الحادية عشرة من عمره ، ومع ذلك فهو يفهم النوتة الموسيقية كما وضعها كبار الأساتذة ، ويؤديها أنغاماً كأدق ما يكون الأداء ، وتمى ذا كرته النـادرة وذوقه الموهوب ألحان العباقرة من أمثال بتهوفن وموزار وشوبيروفردى وروسينى وتشايكوفسكى وبرامزوليست ... وهو بعد ذلك يقود فرقة موسيقية مكونة من ستين عازفاً من أشهر عازفى الموسيقى فى العالم . هذا الطفل النابغ هو فيرونتشو بوركو الذى أذهل بنبوغه المبكر أقطاب الفن وهواته فى كل من إيطاليا وسويسرا وفرنسـا وأمريكا ، والذى حل ضيفـاً على مصر منـذ أيام تصحبه فرقته الموسيقية الضخمه ليقيم فيهـــا بضع حفلات موسيقية يترقبها الجمهور باهتمام بالغ !

ينحدر هذا الموهوب الصغير من صلب أبوين وهبا حياتهما للفن ونذرا له الإبن ؛ فأمه مغنية من مغنيات الأوبرا بذرت فى نفس وليدها بذور الموهبة الفنية عندما كانت تصحبه معها إلى المسارح وعمره سنتان ونصف، وهناك أخذ الطفل بسحر الموسيقى التى استولت أنغامها على مشاعره وهزت كل ذرة فى كيانه ، ولمح المحيطون به بوادر النبوغ ممثلا فى أذنه الموسيقية وإحساسه المرهف ، فأشاروا على أمه الفنية وأبيه المثال أن يدفعا به إلى من يتعهده بالتوجيه والرعاية ، وفى ظل أسـتاذه درس الطفل أصول الفن الموسيقى حتى أصبح على مر الأيام أعجوبة بهرت الأنظار والأسماع هنا وهناك !

هذا هو الموسيقار الإيطالى الطفـل فيرونتشو بوركو الذى تنافس شهرته الآن شهرة الموسيقار الإيطالى الشيخ توسكانينى ... وإذا كان لنا من كلمة نعقب بها حول هذا الموسيقار الصغير فهى أنه يقتصر على عزف موسيقى غيره من عباقرة الفن الذين أشرنا إليهم فى بداية هذه الكلمة أى أنه لم يملك القدرة بعد على التأليف الموسيقى الذى يتمثـل فى وضع نوتة من صنع موهبته الذاتية ، ولـكن ذلك لا يغض من قيمته لأنه لا يزال فى بداية حياته الفنية التى تنتظرها الأيام ويترقبها المستقبل ، ثم إن توسكانينى الشيخ ذا الشهرة الدوية والمـكانة الرفيعة لا يفترق عنه فى هذا المجال ، مجال قيادة الأوركسترا وعزف ألحان الغير ! ... وإذا كان بعض النقاد يشيدون بهـذه العبقرية المبكرة فى حياة هـذا الطفل الفنان ، فماذا يقولون فى سيد العباقرة موزار ، ذلك الفنان الذى وهب القدرة على التأليف الموسيقى وهو فى الرابعة من عمره ، حتى أن بعض ألحانه الخاصة التى تنسب إليه وهو فى تلك السن يعزفها الآن كثير من قادة الفرق الموسيقية وفى جملتهم بوركو وتوسكانينى؟! هنا يقام الميزان الحق للعبقرية المتفردة !!

بقية الرسـائل فى حقيبة البريد :

أقول لصاحب الرسالة الأولى الأديب الفاضل ص . م . ت « عطبرة — سودان » إن الموضوع الذى عرضته على سأكتب عنـه فى فرصة مناسبة . وأقول لصاحب الرسالة الثانية الأديب الفاضل عمر عيسى السامرائى « بغداد — العراق » إن تعقيبك على ما رددت به عليك حول ما جاء بكتاب «على هامش السيرة» لا يغير شيئاً من الحقيقة التى أشرت إليها من قبل ، حين نفيت لك ما رميت به صاحب الـكتاب من التناقض فى أقواله ، وإذا كنت قد قلت إن ورقة قد قص على نسطاس قصـة أخرى فى ص (٥٢) فإنما كنت أعنى أنه قد أفضى إليـه بمصدر القصة الأولى الواردة فى ص (٥١) أى أنه سرد له قصة أخرى هى قصة القصـة ! وأقول لصاحب الرسالة الثالثة الأديب الفاضل م . س « قنا » إن الإقدام على الأمر الذى حدثتنى عنه خير من الإحجام وأقول لصاحب الرسالة الرابعة بعد شـكره على كريم تقديره وهو الأديب الفاضل ابرهيم جوهر « قنـا » إنه يؤسفنى ألا تـكون « مذكرات إديسون » بين يدى حتى كان يمكننى أن أجيبـه عن سؤاله . وأقول لصاحب الرسالة الخامسة الأديب الفاضل محمد المديسى « المديسات » إن مما يحول بينى وبين الـكتابة عن الشاعر المصرى الذى أشار إليه هو أنه ليس بين يدى شىء من شعره . وأقول لصاحب الرسالة السادسة بعد شـكره على حسن ظنه وهو الشاعر الفاضل محمود البـكرى محمد « الـكيمان » إن رسالته محل عنايتى . كما أقول ذلك أيضاً لصاحب الرسالة السابعة وهو الشاعر الفاضل محمد مفتاح الفيتورى « الاسكندرية » ... ولهؤلاء الأصدقاء جميعاً خالص التحية .

أنور المعداوى

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

اليوم خمر :

افتتحت الفرقة المصرية موسمها الحالى يوم السبت الماضى على مسرح الأوبرا الملكية ، برواية « اليوم خمر » للاستاذ محمود تيمور بك ، وقد أخرجها الأستاذ زكى طليمات المدير الفنى للفرقة . وهى مسرحية (كوميديه) تصور حياة الشاعر امرىء القيس شابا لاهياً سادراً فى لهوه وعبثه نزاعا إلى حياة الطلاقة والتحرر مما يعرض له من الأمور الجسام ، حتى الحب الذى أثقله فى النهاية بثلاث نساء ، لم يستطع أن يواجهه ففر منه ...

وتمازج عرض تلك الشخصية صور إنسانية وقيم أخلاقية واجتماعية وقضايا فكرية ، تتخلل كل ذلك مفارقات وطرائف أضفت على جو المسرحية روحا فكها مرحا ، جعلها ملهاة من الأدب الرفيع .

وقد قرأت هذه المسرحية عند ظهورها مطبوعة منذ شهور ، ثم شاهدتها على المسرح ، فلاحظت أن المخرج الأستاذ زكى طليمات تصرف فيها تصرفا غايته الاختصار لطولها ، وتيسير بعض كلماتها توخيا للملاءمة بينها وبين الجمهور ، فقد وضعها المؤلف لتكون أثراً أدبياً يقرأ قبل أى شىء ، وقد جعل أسلوبها قريباً من عصرها ولم يبعد به عن ذوق عصرنا ، ومع هذا كان لا بد من أن يصنع المخرج ما صنع ، وهو مع ذلك لم يمس الأسلوب المتين والتركيب القوى . وقد بذل الأستاذ زكى طليمات من فن الإخراج فى هذه المسرحية ما جعل الفن الرفيع يتعاون مع الأدب الرفيع ، وما أظن هذا القول يتعارض مع ما سأتناوله بعد من الملاحظات والمآخذ .

تتكون المسرحية من خمسة مشاهد ، نرى فى الأول امرأ القيس وحاشيته من رفاق وخدم عند غدير دارة جلجل ، يلهون ويقصفون ثم توافيهم هناك الجارية الجميلة « أقحوان » حيث تلتقى بامرىء القيس لأول مرة ، وترقص أقحوان قربانا لا [illegible]نم « هبل » الذى يتوسط المكان ، ثم تأخذ هى وامرؤ القيس فى مداعبة ومنازلة تنتهى بغضب أقحوان من امرىء القيس لانصرافه عن تقبيلها إلى إطراء عينيها ثم التوجه إلى مناجاة القمر فى السماء ، وتنصرف بعد أن تقول لرفاقه : إن صاحبكم ليتشدق بالطعن والضرب ، آخذاً للحرب أهبتها فى كل وقت ، فإن حانت ساعة العراك تبوأ مقعده يرقب السماء ويحصى نجوم الليل . وهكذا تظهره هراجا نفاجا ليس كمثله هراج ولا نفاج ، كما تقول له .

ثم يقبل سرب من العذارى ، قاصدات غدير دارة جلجل يبتردن ، فيخلون لهن المكان ، ثم يتسلل إليهن امرؤ القيس وحده وقد خلعن ثيابهن — يطفأ نور المسرح فى هذه اللحظة — ويجرى بينه وبينهن حديث طريف ينتهى بإصراره على ألا يدفع إليهن ثيابهن — وقد استولى عليها — إلا بعد أن يخرجن إليه متجردات .

ثم يقبل الملك حجر وبصحبته فاطمة بنت أخيه ، فيؤنب الوالد ولده على مسلكه وتحاول فاطمة أن تلطف من حدة الموقف وتتبين فى أثناء ذلك أن فاطمة فتاة طموح تريد أن تحث امرأ القيس على الأخذ بأسباب المجد ، وهما يتبادلان عبارات الحب والمودة .

وفى المشهد الثانى نرى امرىء القيس فى ناحية من سفح جبل دمون باليمن ، يلعب بالشطرنج مع أحد أصحابه ، وبقية رفاقه على مقربة منه يشربون الخمر وأمامهم قينة ترقص . ثم يقبل عامر ابن معاوية عضد الملك حجر ، متجهم الوجه ، وينعى إلى امرىء القيس أباه الملك ، فيستمر امرؤ القيس فى اللعب غير عابىء بالنبأ ، حتى يتم الدست ... ثم يعلن أن اليوم خمر وغداً أمر ، وينشد :

خليلى ما فى اليوم مصحى لشارب ولا فى غد إذ ذاك بالكأس نشرب

وتدخل عليه فاطمة وتستحثه على الثأر من بنى أسد قتلة أبيه ، فيبدى لها عزمه على المضى فى أخذ الثأر . ثم يأخذ فى تأمل عينيها وهو ثمل يترنح ، فتصده عنها ، فيبثها حبه ، فتعده بمبادلته الحب بعد أخذ الثأر .

وقبل المشهد الثالث نرى على المسرح منظراً عجبا : سحبا متكاثفة تسير فى جو البادية ، ونسمع خلال سيرها صوت الأستاذ زكى طليمات يحدثنا حديثاً موجزاً عن حروب امرىء القيس مع بنى أسد وانتصاره عليهم وإيقاعه بهم ، وعودته إلى الشرب واللهو

بعد ما نال منهم ما عده ثأراً ، وتحريض ابنة عمه فاطمة له على الاستمرار فى حروبهم .

والواقع أن هذا الحديث إجمال لما حدث فى فصل حذف من أصل الرواية ، وكان ذلك ، مع منظر السحب الملائم للحوادث، تجديداً رائعاً فى المسرح المصرى.

ثم يأتي المشهد الثالث وهو فى كهف بشمال اليمن حيث يجلس امرؤ القيس مهموماً ، ينتظر عامر بن معاوية الذى أرسله إلى رؤساء القبائل يستنجد بهم ، بعد أن خزلته قبيلتا بكر وتغلب ولحقته الهزائم. وتقبل عليه فاطمة ، فينلظ لها فى القول ، ولكنها تحزن لمرآه وتتود إليه وتعبر عن ندمها على تحريضه حتى أوقعته فى هذه الحال ، وتنقلب إزاء تجهمه لها أنثى وديعة محبة مستسلمة ، وماتزال به حتى يلين لها ويعاهدها على الحب . ويقبل عامر وينهى إليه أن أحداً لم يستجب له ، ثم يشير عليه أن يتوجه إلى الحارث الغسانى بالشام ليستعين به ، وهو عدو المنذر الذى أعان بنى أسد وأهدر دم امرىء القيس.

ولكن صديقنا لامرىء القيس « صمصام » عاد من رحلته التجارية وأقبل عليه فى هذا الموقف ، فأشار بالتوجه إلى قيصر بالقسطنطينية ، ويقول فيما يقول لامرىء القيس إنها عروس المدائن وتزخر بالحسان والخمر المعتقة ... ويعلن الرحيل إلى القسطنطينية .

والمشهد الرابع فى حانة ميخايلوس بالقسطنطينية حيث نرى أبا زبيبة وحنظلة خادمي امرىء القيس يشربان ويغازلان لاريسكا ابنة ميخايلوس ومينورقا الفتاة الخليعة بالحانة . ويظهر لنا من الحديث أن لاريسكا قد أحبت امرأ القيس ، وأن المدينة تردد نبأ العلاقة الجديدة بين الفتى العربى (قيس) وبين ابنة القيصر التى أحبته . ويقبل امرؤ القيس إلى الحانة . وفيما هو ولاريسكا يتبادلان عبارات الحب يقدم عامر بن معاوية وفاطمة ، فتنصرف لاريسكا وتتسمع حديثهم الذى يتضمن أن كسرى مستمد أن ينصر امرأ القيس الذى يتأبى أن يلجأ إلى عدو قيصر بعد وعده بالمعونة على أمره .

والمشهد الخامس فى الحانة أيضاً ، وبينا حنظلة يغازل مينورقا يقبل امرؤ القيس ، ثم تقبل فاطمة وعامر وصمصام ، وتقدم ابنة القيصر لتلازم امرأ القيس على غشيانه هذه الحانة

كشكول الأسبوع

□ كان المقرر من قبل أن الدكتور طه حسين بك هو الذى سيستقبل صديقه الأستاذ أحمد حسن الزيات فى حفلة الاستقبال العلنية التى ستقام فى مجمع فؤاد الأول فى الساعة الحادية عشرة من يوم الإثنين المقبل ، ولكن تأخر الدكتور طه فى انجلترا لن يمكنه من حضور الحفلة ، ولذلك سيقوم باستقبال الأستاذ الزيات صديقه الأستاذ محمد فريد أبو حديد بك .

□ وافق مجلس الوزراء على إبرام اتفاق ثقافى بين مصر وبلجيكا ، ومن أهم ما يتضمنه هذا الاتفاق أن تبذل كل من الحكومتين قصارى جهدها لكى تلقى فى جامعاتها محاضرات فى لغة البلد الآخر وآدابه وتاريخه وغير ذلك مما يتصل به ، وأن تقوم الحكومتان بتسهيل وسائل البحوث العلمية والثقافية التى تجريها جماعة من البلدين

□ عرف الدكتور ابراهيم ناجى الأسلوب بأنه أقصر خط بين قلب الكاتب وقلب القارىء .

□ ينص قانون الإذاعة الجديد على ألا يكون أحد أعضائه عضواً بالبرلمان . ولهذا سقطت عضوية طراف على باشا وزكى على باشا والأستاذ عباس محمود العقاد ، ويعمل ولاة الأمور الآن على تعيين ثلاثة مكانهم .

□ فاز الأمباشى خليل حسن خليل ، أحد جنود الجيش ، بشهادة (الليسانس) من كلية الحقوق مع درجة جيد ... وهو حدث اجتماعى ثقافى يجب أن يبرز ويأخذ مكانه من الاعتبار والتقدير .

□ اعتنقت الأديبة الانجليزية فيلبس د . كرامن — الإسلام ، وهى تقول إن الإسلام أضمن طريقة لنشر الأخوة والعدالة الاجتماعية ومنع الحروب فى هذا العالم المضطرب .

□ استمعت فى « ركن الريف » بالإذاعة ، هذا الأسبوع — إلى تمثيلية عنوانها « صوت الضمير » فعجبت لما تضمنته من الأذان لصلاة العيد ... والفلاحون يعرفون جيداً ما يجهله المؤلف والمخرج من أن صلاة العيد لا يؤذن لها .

□ كانت الفرقة المصرية أعلنت بعض المسرحيات التى ستقدمها فى هذا الموسم ، ومن بينها « رصاصة فى القلب » فلما عاد مؤلفها الأستاذ توفيق الحكيم من باريس وعلم بذلك ، أبلغ الفرقة أن العقد المبرم بينه وبينها لتمثيل هذه الرواية قد انتهت مدته فى العام الماضى ، وقد كان الاتفاق أن يقوم ببعض الأدوار الهامة ممثلون معينون ، لقاء نسبة مئوية من الأرباح تدفع لهم وللمؤلف ، ولكن ذلك لم يتيسر . وترى الفرقة أن هذا لا يتفق وما تنتظره من معاونة كبار المؤلفين على تأدية رسالتها .

□ تقدم عدد كبير من الطلبة والطالبات فى هذا العام إلى المعهد العالى لفن التمثيل العربى ، راغبين اللحاق به . ومما يذكر أن ثلاثين فى المائة منهم حاصلون على شهادات عالية .

□ جاء من روما أن قداسة البابا يدرس الآن اللغة العربية بإشراف ثلاثة من رجال الدين العرب فى الفاتيكان وأن قداسته تقدم فى هذه الدراسة وهو يشعر بلذة فى تعلم العربية .

الوضيعة . ويقف امرؤ القيس بين ثلاث محبات يتنازعنه : فاطمة وابنة القيصر ولاريسكا . وفجأة يدخل صاحب شرطة قيصر يريد القبض على هؤلاء البدو بتهمة التجسس لكسرى . ويتضح أن لاريسكا هي التي أبلغت أمرهم ، لتحول دون رحيل امرىء القيس ويتصدى امرؤ القيس للشرطة ويأبى أن يسلم فاطمة وعامر وصمصاماً ، ويستل سيفه وتدور بينه وبين الشرطة معركة يقضى عليهم فيها ، ويصيح بأهله أن يقفزوا من على سور الحانة إلى البحر ويلحق بهم ، يطلبون في البحر مهربا .

الصورة الواضحة لامرىء القيس في الرواية هي أنه فتى عابث ماجن نفاج لا يعرف الجد ولا يتحمل التبعات ، ولكن امرأ القيس « الشاعر » لا يكاد يوجد فيها . نعم إنه أنشد ألقوان بيتين ، وروى خادمه أبو زبيبة الأبيات التي مطلعها :

سموت إليها بعد ما نام أهلها   سمو حباب الماء حالاً على حال

وأنشد بضعة أبيات بالمشهد الثالث . ولكن كان ذلك ضئيلا لا يكون للشاعر صورة ، وقد حذف جزء من الفصل الأول كان فيه ينشد أبياتاً ظريفة لمذارى الغدير . وكان هذا الجزء بسبيل إلى إبراز صفة الشاعرية . ومن تصرفات امرىء القيس القليلة الدالة على رقة الشاعر وإنسانيته ، موقفه أمام الغزال الذي اصطاده وأسفه على أن صرعه وقوله في ذلك : ألا يستطيع المرء منا أن يأكل دون أن يقتل ؟

ولم يكن تغزله بفاطمة ليلة نعى أبيه وهي مكتئبة حزينة باكية وإلحاحه في معابثتها ومجاذبتها على هذه الحال ، مما يتفق والإحساس الدقيق النبيل الذي يتميز به الشاعر ، بل كان هذا الموقف أدنى إلى الحيوانية ، ولا يبرره السكر ، فإن الإحساس الأصيل لا يتغلب عليه شيء . والطبع الفني الرقيق لا يخرجه العبث والمجون عن دائرة مشاعره الإنسانية العالية .

والفصل الثالث الذي اضطر المخرج إلى حذفه ، كان يحتوى أمرين مهمين ، أولهما بيان خلة امرىء القيس في حرصه على ألا يضيع حظه من اللهو والشراب طويلاً ، فما إن نال من بني أسد بعض النيل حتى هرع إلى اللهو وإباحة الشراب .

الأمر الثاني تصوير فاطمة وهي تجد في العمل على مواصلة القتال وتحريض امرىء القيس ، وهذا التصوير ضروري لكي يدرك المشاهد روعة انقلابها عند ما أعرض عنها امرؤ القيس وأغلظ لها فإن هذا الانقلاب الشعوري لمة في أثناء الحوادث يدل على حرص الأنثى على الناحية العاطفية مهما اشتدت وتطلعت إلى المجد . ولم يكن الحديث الوجيز الذي نطق به الصوت المسموع كافياً لإبراز ذينك الأمرين .

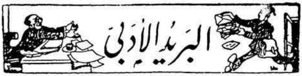
وفي المشهد الثالث عند ما يئس امرؤ القيس من مساعدة من استنجدهم نراه يستغرق في تأملاته وتفكيره استغراق المجرب الذي عرك الحياة وعلمته الشدائد ، فيتحدث عن تغير الأصدقاء ، وعن قيمة الحياة وهل هي المتعة بإشباع البطن وقضاء الشهوة يستوى في ذلك الإنسان وغيره من الحيوان ، أولها أهداف ومقاصد يسمى إليها كل ذي عقل ورشد ، ويتحدث عن القدر وموقف الإنسان منه حتى ينتهي إلى أن القدر لا يستطاع دفعه ولكن للانسان تبعته ونصيبه ، فالأقدار قد تدفع ولكن إرادة الإنسان تغالب .

وقد كان هذا الموقف يثقل على المشاهدين لولا ما تخلله من مفاكهات الخادمين حنظلة وأبي زبيبة ، فالأول يرى أن القدر هو كل شيء فقد رمى الوعل بأسهم عشرات فما أصابت منه مقتلاً ، وشاء القدر أن يرتطم في حفرة فناله بلا كد ولا عناء . ويرى الثاني أن الإنسان إن لم تكن له إرادة لم يتيسر له مطلب ، كيف استمتاعك بالمرأة إذا لم تسع جاهداً حتى يتبدل عسرها يسراً ويعود جماحها ميلاً وانعطافاً ؟

وهكذا نرى تلك الأفكار تساق في مساق ظريف يندى جفافها على المشاهدين . ولكن في بعض الفترات خلا امرؤ القيس إلى نفسه وأطال في المناجاة حتى أمل ، وحدث ذلك مرتين ، أنهى الأولى دخول حنظلة ، وأنقذ الجمهور في الثانية قدوم صمصام .

وقد كانت الخاتمة جيدة في أمر ، ومضحكة في أمر آخر ، فقد كان رائعاً ألا يتخلى امرؤ القيس عن أهله ويقف بالسيف دونهم على رغم إغراء البيئة التي أغرق فيها . أما القفز إلى البحر والهرب فيه مجاهرة من قيصر وشرطته ، فلا أستطيع أن أتصور عجز الحكومة القيصرية عن اللحاق بأربعة من البدو متهمين بالتجسس للعدو ، يقلعون من شاطىء القسطنطينية أمام الأبصار .

وجهد الأستاذ زكي طليمات في إخراج الرواية ، بارز عظيم ، وقد جسم الجو البدوى الملائم للحوادث على المسرح ، ووفق في



الوعي الأدبي في الرسالة !

١ — يعجبني كتاب الرسالة وقراؤها الكرام ، فهم بحق وبلا منازع تلك الفئة المستنيرة التي تتذوق الأدب وتتعشقه ، وتتعرف فنونه وأساليبه ، وتتفانى في خدمته ، فلا عجب إذا رأينا ألا تفلت منهم صادرة أو واردة من القول ، حتى يتعرفوا مصدرها ويسبروا غورها ، فهم تارة يظهرون عوار الكاتب إذا لحن أو زل قلمه فمزا قولا لنفسه ولم يرده إلى قائله ، أو نقل فكرة أو قصة ونسبها إلى قلمه زوراً .

وهاهي أقلام كتابها تتبارى ولا تفتأ تذكر أن تلك الفكرة لفلان ، أو أن هذه القصة من وضع فلان ، أو أن هذا المقال قد نشر في مجلة كذا للمرة الثانية ، حتى أصبحت الرسالة النيرة مضرب المثل في التثبت والتحقيق والتدقيق والأمانة الأدبية الممتازة ، فهي لا تحابي صديقاً أو تتمط عدواً ، لأن مركزها الأدبي يحتم عليها أن تقوم بالقسطاس ، وهو الذي أهلها لتلك المنزلة الرفيعة بين زميلاتها .

أكتب هذه الكلمة البريئة — والأسف يملأ النفس — إذ أنظر إلى مقال قد نشر مرتين في وقت واحد وفي قطر واحد تحت عنوانين مختلفين — وصلب المقال واحد لم يتغير — وذلك المقال قد نشر في مجلة الأزهر الرسمية في الجزء السادس ص٥٥٥ من المجلد الثامن عشر تحت عنوان « على قيثارة الذكرى » ثم نشر في مجلة الأمانة في العدد السابع ص ٢٦ من المجلد الأول تحت عنوان « ليلة كاملية » . وها قد مضى على نشر هذا المقال بصورتيه مدة طويلة وقراء الأزهر والأمانة في سبات لم يحرك أحدهم ساكناً ، وفات الأستاذ الفاضل أن يشير إلى ذلك — حتى لا يعاتب أو يؤاخذ — على هامش أحد المقالين .

ولا أدري السبب الذي دعا فضيلة الأستاذ وهو عالم ومدرس بالأزهر إلى ذلك ، بل ما سبب تغيير العنوان على هذه الصورة المريبة ؟ نريد جواباً !

وبعد فنحن في عصر كثرت فيه الأقوال بلا ميزان ، وقلت بل عزت الأفعال ، وكثيراً ما تخطر الفكرة ويد... ها القلم ثم تحجم النفس عن إرسالها للنشر ، حتى لا تكون حجة أمام الله سبحانه وتعالى .

على أن العبرة ليست بكثرة الكتابة والتحبير في الجرائد

توزيع الأدوار على قدر الإمكان —

وقد مثل « امرأ القيس » أحمد علام ، فنهض بالدور وإن لم يكن نجاحه فيه كاملا ، وذلك أنه لم يعبر عن طبيعة امرىء القيس الماجنة ، لا بالصوت ولا بالحركات ، ولم يكن يظهر عليه المرح في وقته كما ينبغي أن يظهر ، ولم يكن ثمة فارق كبير بين أحواله المختلفة في الإلقاء ونبرة الصوت ، وأحمد علام أليق بالأدوار الجدية كدور مجنون ليلى منه بمثل هذا الدور العابث الماجن .

وقد تبين كسله في حفظ دوره ، وهذا الكسل وإن كان ملحوظاً لدى أكثر الممثلين والممثلات ، إلى أنه كان ظاهراً في أحمد علام الذي كان يعتمد على الملقن حتى إنه كان ينطق ببعض الجملة ويصغي إلى الملقن ليسعفه ببقيتها . ويبدو أن الممثلين والممثلات لم يمرنوا التمرين الكافي على سلامة النطق وتصحيح اللغة ، فقد عم التكسير في الكلمات وضبطها ، ولم يكن ذلك منتظراً ولا لا ئقاً بأستاذ كأحمد علام .

ومثلت « فاطمة » فردوس حسن ، فأجادت التمثيل وأدت دورها أداء باهراً ، ولم ينقصها غير النطق العربي الفصيح ، وهذا غير سلامة الضبط ، إنما هو اللهجة وكيفية إخراج الكلمات ، وأظهر ما في نطقها دغم الكلام وعدم الإبانة . ومن المفارقات أن اللائي مثلن لا ريسكا (إحسان شريف) وميمنورقا (زوزو حمدي الحكيم) وابنة القيصر (روحية خالد) كن ينطقن نطقاً عربياً — وهن يمثلن أعجميات — أحسن من نطق فردوس وهي تمثل فاطمة العربية .

أما فؤاد شفيق فأنا معجب به لظرفه وقدرته على أداء هذا الظرف باللغة الفصيحة ، وهو روح نابض في الرواية ، وقد مثل « حنظلة » .

وقد وفق سائر الممثلين والممثلات في الاندماج في أدوارهم ، وخاصة فاخر فاخر « صمصام » وكان حسن البارودي في دور « قبيصة بن نعيم » موفقاً في التعبير بصوته وإلقائه إلى حد بعيد ، عند ما تكلم عن وفد بني أسد إلى امرىء القيس .

عباس خضر

والمجلات على أية صورة ، وإنما تقاس قيمة الكاتب الناضج بمقدار ماينتج مما يفيد قراءه في حياتهم العاجلة والآجلة ، وإلا كانت الكتابة من الترهات التي هي وعدمها — في نظر العقلاء — سواء .

٢ — انقطعت الأخبار من مدة وزاد الحنين إلى الجار العزيز الأستاذ على الطنطاوى فهل نرى قلمه يصف « مأساة فلسطين » نرجو أن يفصح ويجيب مع قبول التحيات .

(شطانوف) محمد منصور خضر

التم وليس البجعة :

يكثر فنانو الغرب من تسمية بعض أعمالهم الفنية باسم الطير المائى المعروف بـ Swan ، واعتبارهم إياه مصدر وحى لهم .

ولعل السبب فى ذلك هو أن لهذا الطير منظراً جذاباً ، ومنه استوحى تشايكوفسكى رقصة (بحيرة الـ Swan) ومنه استلهم تشيخوف تمثيليته ذات الفصل الواحد المعروفة بـ (أغنية الـ Swan) .

ومما يثير الدهشة أن أدباء مصر وفنانيها قد أجمعوا على تعريب كلمة Swan هذه بـ (البجعة) ، وهذا خطأ لغوى وفنى كبير لأن البجعة هى غير الـ Swan .

فالبجعة هى طائر مائى أيضاً لكنه عريض المنقار طويله ، له حوصلة عظيمة تحت منقاره ، يخزن فيها كمية من الأسماك .

وأما التّم فهو طائر مائى له عنق طويل معقوف على شكل حرف S ، عادى المنقار ، قصير اليدين وتقمان إلى القسم الخلفى من جسمه .

والتم طائر أبيض ، أرستوقراطى الشكل ، كان يعتبر فى كثير من الممالك الأوربية طيراً ملكياً ، ولا يحق لأحد غير الملك أن يقتنيه إلا باذن ملكى خاص .

ومن التم ما يسمى بالمصفّر Whistling Swan ، فهو يصفر صفيراً ملحناً ، ويشدو بأنغام جميلة جداً ، ويشتد غناؤه إذا ماجرح أو وقع فى ضيق .

يروى أهل الغرب أسطورة عن هذا الطير بقولهم أنه يغنى اللحن الأخير قبل موته ، ومن هنا جاء قولهم (أغنية التم) أى آخر عمل يقوم به الفنان وهو مشرف على أبواب الأبدية ، ومن هنا جعل شكسبير أميليا تقول فى (عطيل) « سأمثل دور التم وأموت فى الموسيقى » .

فالبجعة هى طير الـ Pelican والتم هو طير الـ Swan فهل لنا أن نميز بينهما ؟ . .

(ليماسول — قبرص) نجاتى صدقى



انهيار جـــدار

مترجمة عن الإنجليزية

بقلم الآنسة سلوى الحومانى

كان ضحى يوم من أيام نوار الضاحكة وقد أشرقت الطبيعة بابتسامة الربيع ، فرفلت الحقول بحلته الزمردية المزركشة ، وعبق الجو بأنفاس الزهور العطرة . وانطلقت الطيور صادحة تبنى أعشاشها على أفنان الشجر وبين العشب النامى فى مرتفعات الأرض التى بدت بانحداراتها كستائر من السحر أو كلوحات فنية هى أروع ما أبدعت يد عبقرى .

فى ذلك اليوم المشرق ، وفى حقول قرية « هاثرتون » ، كانت « جيزيا أوين » القروية الحسناء تنحدر مسرعة إلى تلك القرية وقد حملت سلة بيض توصلها إلى السيدة « برسكوف » العجوز كهدية من إنتاج طيورها التى تفننت فى تربيتها فى مزرعة أبيها الموسر .

كانت جيزيا تبدو آية من آيات الفن بثوبها الأزرق البديع الملتصق بقدها السمهرى زهو وخيلاء ، وقبعتها الباريسية الأنيقة التى علت رأسها الجميل تحاكى زهور الأرض روعة وجمالاً . فكأنما كانت تلك القروية مرآة للربيع الغض الزاخر بالحياة ، فصاغت من ثراء أبيها حلل الأناقة والفن يعينها على ذلك ذوقها السليم وجمالها الفتان .

كان جمالها حديث أهل القرية ومطمح عيون الشبان فيها ومعقد آمالهم ، فتسابقوا عليها يطرحون بين يديها قلوبهم ومهجهم . فلم يرض واحد منهم طموحها ، فضاقت بهم ذرعاً وطغى بها غرورها فراحت تسخر منهم وتهزأ بعواطفهم المحمومة ثم بالغت فى القسوة حتى لم تتورع عن صب وعاء من الماء البارد على راس هائم جاء يشكو إليها لواعج قلبه فلم ترقها لعثمته ولهجته الجفاء . وبعد أن استرد روعه من تأثير الماء طردته بلطف وهى تربت على كتفه باسمة وتقول بهزء : ظننتك محموماً تهذى يا عزيزى فأسعفتك بالماء البارد .

وكذلك قصتها مع « ريف بارامور » زميلها فى الدراسة ورفيق صباها الذى قطعت معه مرحلة الطفولة العابثة المرحة فلعبا الحلجة وفتشا أعشاش العصافير ركضاً معاً فى حقول القرية يمثلان لعبة « الاستخفاء » حتى إذا داعب الشباب قلبيهما بنسمات الحب ، تطلعت الفتاة حولها حيرى ، وسعى الشاب إليها يطرح بين يديها قلبه وماله ومستقبله. فصدمت بمنظره المتخاذل الذليل ، وكلماته المترددة المتلعثمة ، ولهجته البلهاء المتهالكة ، فطردته شر طردة هازئة ساخرة .

ولكن هذه المعاملة لم تزد الفتى إلا حباً وهياماً . بل أن هذا الحب ظل يضطرم ويشب مع الأيام كلما ازدادت الفتاة حياله بروداً ونفوراً .

ولنعـد الآن إلى جيزيا وهى تقطع تلك الحقول مسرعة إلى قرية هاثرتون . ووقفت فى منعطف يؤدى إلى الطريق العام تفكر فى أى الطريقين أقصر إلى القرية . فرأت أنها إذا اتبعت الطريق العام فسيكون عليها أن تقطع مسافة ميلين لتصل إلى بيت السيدة برسكوف فى تلك القرية . ولكن إذا اختصرت فسلكت الحقل الوعر الذى ستعترضها فيه انحدارات خطرة وكثير من النباتات المتشابكة وصفوف من الحيطان المترنحة الواهية البناء ، بذلك تستطيع أن تصل إلى القرية فى أقل من ربع ساعة .

قالت : هـذه حقول ريف بارامور ، وأعتقد أنه ليس فيها اليوم فسأغامر وأقطعها لأنى متضايقة من الحر فلا أستطيع المشى طويلاً فى الطريق العام .

ووضعت السلة من يدها وجعلت تزحف بين النباتات البرية النامية وخلال الأغصان المتشابكة حتى كانت بعد دقائق على ضفة جدول كبير تجتازها بحذر وتماسك لئلا تزل قدمها وتقع فيه . ووصلت إلى رأس منبعه حيث يتفجر من خلال كومة من حجارة رملية فتسلقتها بخفة وقفزت إلى حقل قمح منبسط انطلقت تمشى فيه براحة واطمئنان يغمرها النبات المتطاول ، حتى رأت أمامها حائطاً عالياً يعترض طريقها .

كان هذا الحائط صعب التسلق لضعف بنائه وتداعي حجارته . ولكن هذا لم يثبط من عزمها ولم يضعف همتها وهي الفتية النشيطة ، فلم تجفل أمامه ولم تحجم عن تسلقه . فوضعت سلة البيض على حجر ثابت فيه ، وبدأت تصعد بخفة ونشاط . ولكن راعها أن رأت خطر الصعود أشد مما كانت تتصور . فكانت نتوء حجارة الكلس تتفتت تحت قدميها حتى كادت تهوى إلى الأرض لولا جهد المستميت .

وكادت أن تصل أعلى الحائط عندما هلع قلبها وهي تراه قد بدأ يميد بها ويهتز تحت ثقلها فما أحست إلا وهي ترى بنفسها إلى الأرض وقد انهار من ورائها .

ونهضت مذعورة فزعة ، ولكن سرعان ما زال خوفها وانبسطت أساريرها ولمعت عيناها بخبث وهي تنظر إلى الجدار المنهار ثم قالت بحقد وتشف : أنه سيكون شغلاً مناسباً لريف الأبله أن يعيد بناءه ، ولسوف أهدمه ثانية وثالثة ، أيضاً كلما بناه ، فالتعب هو أنجع دواء للحمقى اللائمين أمثاله .

ولدى آخر كلمة قالتها إذا بعينيها تتسع ذعراً وتند عنها صيحة مكبوتة عندما حانت منها التفاتة فرأت من ورائها تماماً ريف بارامور .

لقد كان ريف بعينه جالساً إلى جذع شجرة منهمكاً في صنع أوتاد خشبية . وكان ينظر إليها وعلى فمه ابتسامة الظفر .

فأسرعت جيزيا واختطفت سلة البيض وركضت هاربة . ولكن ريف قفز وراءها يتبعها بخطوات واسعة ويقول : لقد سمعت كل ما قلت يا جيزيا ، ولا أظن أنك بهذا العمل على شيء من النبل أو اللطف ، ولكن على أي حال فأنت تعرفين العادة في قريتنا التي تحتم على من يهدم جداراً أن يبنيه بنفسه ، لذلك فأنت الآن يجب أن تبنيه كما هدمته .

فوقفت جيزيا تنظر إليه بازدراء وتتحداه قائلة : كلا لا أريد أن أبنيه

فقال ريف بتهكم : ولكنك ستبنينه لأنني سأجبرك على ذلك .

فغاض لونها وقالت : إن سخرية الاقدار أن تكون أنت أول رجل يجبرني على عمل لم يخطر لي على بال . تنح جانباً ودعني أذهب .

قال كلا لن أفعل ، فأنت معتدية ، والمعتدى يجب أن يدان ، وأنا الذي سأدينك بأكراهك على بناء الحائط بنفسك .

فقالت بصوت مختنق : إذا فعلت هذا فسأملأ الدنيا صراخاً .

فقال بتهكم : إصرخي ما شئت فلن يسمع صراخك في هذا الحقل النائي أحد غيري .

فلم تجد جيزيا بداً من التنازل عن كبريائها فقالت بلهجة المتوسل : ليس من النبل والرجولة في شيء أن تجبر فتاة مثلي على هذا العمل الشاق يا ريف . فأنا لم أخلق لبناء الجدران .

وكأن لهجتها الرقيقة هذه قد حركت أوتار قلب ريف ، فتبدلت ملامح وجهه فجأة وجعل يتفرس فيها برهة ثم قال : إن بناءك للحائط سيكون لك درساً في إذلال كبريائك كما أذللت كبريائي من قبل بطردي من بيتك ، أتذكرين ..؟ والآن هيا اشرعي في البناء .

فراعها أن لا تخفف توسلاتها من عناده شيئاً . ولأول مرة في هذه المناقشة رفعت رأسها إليه تتأمله بأمعان . فتصنع هو الصرامة والعبوس . وتقلصت عضلات وجهها إشمئزازاً من خلقته . يا لله ما أغلظ هذا المخلوق الواقف أمامها بوجهه الكالح المكفهر وقامته المتخاذلة وثيابه المشمئة التي تتصبب عرقاً ! إن ظنها لم يخب في أنه أبشع رجل في العالم ، وأقسى رجل أيضاً . ما أقسى هذا الجنس وأظلمه ، لقد اقتنعت الآن فقط أن الرجال أفظع المخلوقات وأنه لا يوجد واحد منهم جدير باسم رجل .

وأحست بأن أعصابها تكاد تنفجر غيظاً فأشاحت بوجهها عنه حانقة ، ولمعت عيناها حقداً ، وارتجفت شفتاها في ثورة مكبوتة . ودمدمت بحدة قائلة : إنني أمقتك يا هذا ، أنت تريد أن تقضي على بهذا العمل ، فأنا لست رجلاً حتى أستطيع بناء الحائط .

فانفجر ريف ضاحكاً وقال : إنك تجورين على بهذه التهمة يا جيزيا . فما أردت بإجبارك على بناء الحائط إلا تلقينك درساً عملياً في احترام كبرياء الغير كما أخبرتك الآن . أما وأنت تصرين على الاعتقاد بأن هذا العمل سيقتلك حقاً ، فأنا لا أريد أن أحمل ضميري وزر قتلك . لذلك فإني سأساعدك في بنائه ، سأجنبك المهمة الشاقة فيه فأجمع الحجارة الكبيرة الثقيلة وأنت عليك جمع الصغير منها .

فلم تجب جيزيا بكلمة ، ولكنها جعلت تنزع قفازها الأنيق بألم وقنوط ثم بدأت تشتغل بتثاقل وصمت والدموع تترقرق في مقلتيها .

وابتسم ريف بخبث وهو يرى عملها البطيء وأحجارها التي

لا يزيد أحدها عن حجم التفاحة .

واستمرا يشتغلان دون أن ينبس أحدهما ببنت شفة حتى تم بناء صفين من الحجارة وكان الوقت قد صار ظهراً فقال ريف : يظهر أن بناء الحائط سيستغرق معنا يوماً كاملاً ، والآن قد حل وقت الغداء فهيا إلى ظل الشجرة لنتغدى معاً بما كنت أحضرته من خبز وجبن .

فقالت هامسة فى استنكار : أنتغدى معك تحت الشجرة . ؟ ولكن ماذا يقول الناس عنى إذا عرفوا . . ؟ بربك أعفنى من هذا .

فأجابها وقد عاد إلى تقطيبه : بل يجب أن نتغدى معاً فسوف لا أخبر أحداً بذلك .

ورأت جيزيا نفسها مجبرة على طاعته فانقادت له صاغرة . ولم تستطع ازدراد الطعام لانفعالها ، وأحست به يلتصق بحنجرتها فقامت متظاهرة بالشبع تبغى العودة لعملها .

ولكن ريف استبقاها إلى جانبه قائلاً : أنا معتاد أن أدخن غليوناً بعد الوجبات . دعينا نستعيد ذكريات الطفولة فى هذه الأثناء . أتذكرين عندما كنت أتسلق أعالى الأشجار لأجلب لك العصافير من أعشاشها ..؟

فنفضته جيزيا بنظرة حانقة لهذا الأسلوب الكريه الذى يحاول أن يستميلها به ثم مشت عائدة إلى عملها دون أن تنبس بكلمة .

ولاحظ عليها ريف أنها نشطت فى عملها عما قبل ، فراحت تسرع فى جمع الحجارة قلقة وجلة كلما انحدرت الشمس نحو المغيب . فقابل هو إسراعها ووجلها بالبرود والبطء فى عمله دون رحمة أو شفقة . حتى إذا ما قارب النهار الزوال ، ورأت الحائط لم يتم منه النصف ، نظرت حولها جزعة ، ثم ارتمت على الأرض تبكى بحرارة .

وفوجىء ريف ببكائها الذى لم يكن يتوقعه منها وهى العنيدة الصلبة . فشعر بخطئه فى تلك المعاملة القاسية لها فتألم واضطرب خوفاً من سوء العاقبة . وقال يخاطبها برقة : جيزيا ما بك . ؟ أعتقد أننى أتعبتك كثيراً . فى وسعك أن تذهبى الآن وأنا سأكمل بناء الجدار وحدى .

وأشد ما كانت دهشته عندما رآها تهب واقفة قبل أن يتم كلامه وتمسح دموعها بسرعة وتعود إلى عملها نشيطة فى جمع الأحجار أكثر مما كانت عليه . فردد فى نفسه : يا لهذه الفتاة الصلبة ! إن كبرياءها لم تتحطم بعد ، فهى تأبى مظاهر الضعف والذل فى بكائها الذى استدر عطفى .

وأحس بالشفقة نحوها ، فراح يساعدها بهمة لا تعرف الكلل حتى تم بناء الحائط بعد ساعتين .

عندئذ أسرعت جيزيا وقبل أن تلتقط أنفاسها ، إختطفت سلتها بحركة غضبية وراحت مهرولة فى طريقها إلى القرية . كانت صامتة واجمة شاحبة الوجه تعتسف طريقها الشائك مستجمعة قواها المحطمة .

وشعر ريف بالندم وهو يراها فى هذه الحال المؤلمة ، وأنبه ضميره بشدة وعصر قلبه الألم فأسرع وراءها يصيح معتذراً : جيزيا إننى أسألك المعذرة .

فوقفت جيزيا ووضعت سلتها على الأرض وبسطت أمامه يديها تقلبهما لتريه أصابعها الدامية وبشرتها التى شوهها العمل وملأها بالخدوش والجروح .

فاغرورقت عينا ريف بالدموع وقال : يا فتاتى المسكينة هلا صفحت عنى ..؟

وكان لهجته الرقيقة المتوسلة قد لامست أوتار قلبها فمحت منه كل حقد واستياء وتبينت فيه الإعياء الشديد . فنظرت إلى وجهه المكدود وجسمه المرهق من عناء العمل فشعرت بخطئها فى هدم الحائط وخلق هذه المتاعب لهذا الرجل البرىء . فنظرت إليه بعطف وقالت متلعثمة : وأنت أيضاً تعبت مثلى فى بناء الحائط ياريف ، وأنا كنت السبب ولكن أعدك بأنى لن أهدم لك حائطك بعد . فاقترب منها ريف وأمسك بذراعها قائلا برقة : ما كنت لأضطرك لبناء الحائط لولا حبى لك يا جيزيا . إنها فرصة خلقتها للتمتع بقربك يا حبيبتى بعد طول نفورك .

وحركت مشاعر جيزيا لهجة ريف العذبة ، واستهوتها غايته تلك . استهواها هذا الحب المحموم وهذه العاطفة الجياشة حيالها . ورأت تلك الشخصية الضعيفة المتخاذلة وتلك اللهجة المترددة الهائمة حين باح لها بحبه أول مرة فاستثار نقمتها حتى طردته ، رأت الآن كل هذا يتوارى خلف هذه اللهجة العذبة ممتزجة بهذه الشخصية القوية الجبارة التى فرضت عليها طاعته وأرغمتها على الخضوع لرغبته . رأت كل هذا فأحست بأن هذه الشخصية القوية الرقيقة ، الناعمة الخشنة ، القاسية اللينة قد ملكت قلبها . فأغمضت عينيها نشوى ثم مالت عليه تدفن رأسها فى صدره هامسة : لقد بدأت أحبك يا ريف .

فطبع ريف على فمها قبلة فاتحة عهد جديد .

سلوى الحومانى

مطبعة الرسالة